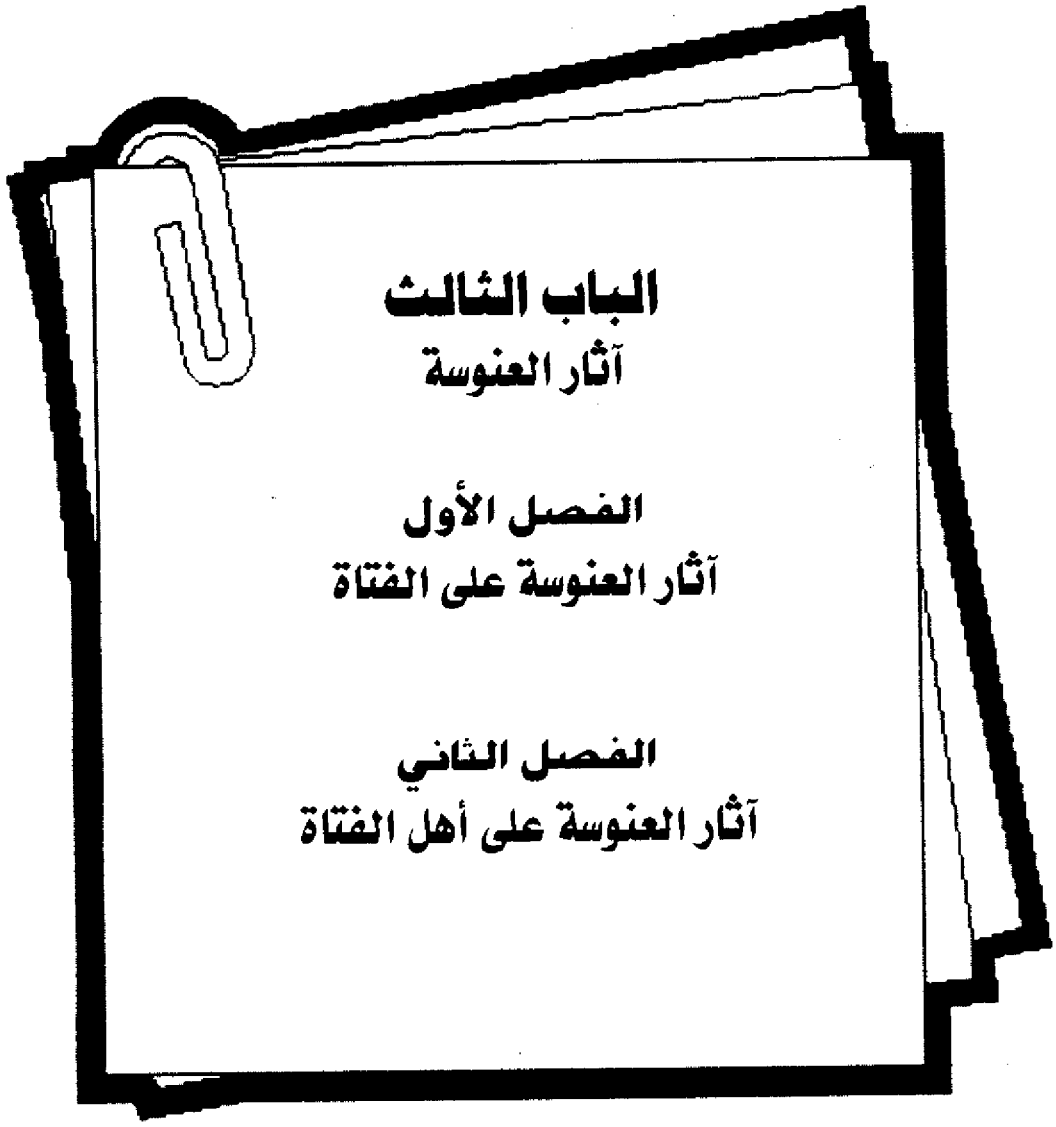

الباب الثالث
آثار العنوسة

الفصل الأول
آثار العنوسة على الفتاة

الفصل الثاني
آثار العنوسة على أهل الفتاة

الفصل الأول
آثار العنوسة على الفتاة

المبحث الأول
الآثار الجسمانية للعنوسة

المبحث الثاني
الآثار النفسية للعنوسة

المبحث الثالث
الآثار الاقتصادية للعنوسة

المبحث الرابع
الآثار الأخلاقية للعنوسة

المبحث الأول
الآثار الجسمانية للعنوسة

١ـ الذبول

٢ـ شحوب الوجه واللون

٣ـ هزال الجسم

٤ـ تخدد الوجه

٥ـ ذهاب البكارة

٦ـ شيب الرأس

٧ ـ مشاكل وتغيرات صحية

المبحث الأول

الآثار الجسمانية للعنوسة

تقول الدكتورة فوزية الدريع : البنت غير المتزوجة في عمر متقدم تعيش ألم الحياة بعزوبية في كل دقيقة ولكن هناك لحظات وأوقات يكون فيها الوجع أكبر، مثل :

ـــ زواج صديقة أخرى لها وإحساسها بأنها باقية وحدها والقطار يأخذ الجميع إلا هي.

ـــ مولد طفل جديد في العائلة يحرك أمومتها ويشعرها بالحرمان.

ـــ حيض كل شهر إنذار أحمر يقول لها : بويضة ودعت هذا الشهر أيضا بلا زوج بلا جنين، بلا إخصاب.

ـــ ذكرى يوم ميلادها وهو يضيف كل عام سنة جديدة كالمطرقة على إحساسها تخبرها بأنها أكبر وهذا يعني أنها أقل حظا في الزواج.

ـــ الإعلام العصري بندواته وأبحاثه وأفكاره وبحسن نية يطارد البنت غير المتزوجة ويعرض مشكلتها طبعا، النية الصافية في طرح الموضوع هي وراء ذلك لكن البنت تتعب نفسيا وهي تفتح مجلة لترى موضوع العنوسة، تضغط زر الراديو في سيارتها لتسمع رأيا في العنوسة، التلفزيون والندوات – كلها مرايا تخبرها بوجعها.

كل نهار فيه لهث يأتي وراءه ليل الليل سكون، خلود، ومخدة، وفراش والبنت غير المتزوجة كل ليلة حين تخلد في غرفتها، وفراشها وحدها تكون في مواجهة مؤلمة مع واقع عمرها.[1]

---

[1] كتيب الحياة بلا رجل للدكتورة : فوزية الدريع / مقال بعنوان مصانع الرجال المتوقفة من : موقع العانس.

وأشار الدكتور محمد الرواشدة أستاذ العلاج الطبيعي إلى أن زواج المتأخر يترافق معه عدة مشكلات متعددة في الولادة وصحة الجنين مبينا أن بعض الدراسات أكدت أن الحمل المتأخر بعد سن الأربعين يؤدي إلى ولادات مشوهة أما الإنجاب بعد سن الـ ٣٥ يؤدي إلى طفل منغولي لكل ٢٦٠ ولادة فيما تزداد النسبة بعد هذا العمر. [١]

ومشكلة العانس ليست ذات أبعاد اجتماعية فقط، بل هي ذات أبعاد صحية أيضاً، وقد يفاجأ القارئ وتفاجأ القارئة بذلك، لكن هذا هو الواقع ، كما يقول الدكتور الأميركي بيدي سيجل في كتابه الطب والحب ومعجزات الشفاء: إن الأبحاث أظهرت وجود علاقة بين حدوث مختلف أنواع السرطان وغياب العاطفة الإيجابية ، فالكراهية العنيفة والانفعالات العصبية وراء العديد من أمراض العصر الحديث المادية مثل قرحة المعدة. [٢]

١ـ الذبول:

للعنوسة آثار على المبتلى بها، فكم من عانس تعاني من هذه الآثار، وكم من أب يهتم بعانس في بيته، مما يجعل ذلك الاهتمام يظهر ذلك على ابيضاض شعره وانحناء ظهره، وكم من أم ترأف على ابنتها العانس، ويظهر ذلك شكلها العام ومظهرها، كما أن هذه الآثار تظهر على صفحات وجوه المبتلين بها وفلتات لسانهم، وتقاطيع جسومهم، فيكون الجسم ذابلا ضاويا وبخاصة عند الفتاة العانس، بينما نجد لداتها المتزوجات يكن على درجة كبيرة من الحيوية وطيب النفس فالجسم ينمو بعوامل عدة من غذاء ودواء وراحة واستجمام وخلو بال من مشاكل وتفرغ من هموم ومشغوليات فالهموم والغموم

---

[١] جريدة الخليج العدد : ٧٣٦٥ ، ٢٠٠٠/٨/١٧م

[٢] موقع نبض الشارع، مجلة القيثارة، مقال بعنوان: عالمها : العنوسة مشكلة تتعقد.

إذا لزمت الإنسان أقضت مضجعه وأصابه الأرق وأثرت في جسمه وتعابير وجهه وأخرجت ما بداخله من ألم ومعاناة.ومن ثم يذبل جسم الفتاة العانس ويزوى عودها وتضمر بعض أعضائها ، بينما نجد الفتاة المتزوجة يكون جسمها غضا طريا متوردا مفرهدا منفرجة الأسارير والعانس مقضبة الجبين دائمة العبوس ذابلة الجسم.

٢ـ شحوب الوجه واللون :

وجه الإنسان ولونه يتأثران بالبيئة التي حوله من فرح وسرور وطعام وراحة واستقرار، فالتنقل والأسفار يؤثران في الإنسان تأثيرا عجيبا أنشد الأصمعي:

غيَّرَ، يا بِنْتَ الحُلَيْسِ، لَوْني طُولُ اللَّيالي واخْتِلافُ الجَوْنِ

وسَفَرٌ كانَ قَلِيلَ الأَوْنِ[1]

ونعم الله عز وجل على أصحاب الجنة كثيرة متعددة وتظهر هذه النعم نضرة على الوجوه يحس بها من رآهم دون أن يشاهد شيئا منها ويتلمس هذه النعم التي يعيشون فيها من نظر إليهم، قال الله تعالى﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2] فهم سعداء بما هم فيه من نعيم، ويتوقعون وينتظرون المزيد من الخير، وهم لا يحزنون على شيء مضى من نصب الدنيا وتعبها فقد أذهبه الله عنهم بذهاب الدنيا وزوالها، ولا يخافون من شيء آت يؤرقهم ويقض مضجعهم، ممتنون بهذه النعمة على خالقهم جل شأنه قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ

---

[1] يريد النهار. [لسان العرب ، مادة جون]

[2] سورة القيامة آية ٢٢ ــ ٢٣

الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [١] وقال الله تعالى ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] وهم مقيمون لا يظعنون، باقون خالدون، شباب غير كبار في السن: فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ [٣] أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. [٤]

ويدخل أهل الجنة الجنة أقوياء غير ضعاف، أصحاء غير مرضى فرحين بما هم فيه من النعيم لا يبغون منه بدلا ولا عنه حولا قال الله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [٥] وفي المقابل يكون الكفار على وجوههم البؤس والضر والضنك والشقاء والتعاسة قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [٦] فهم في آلام وعذاب في الحاضر والمستقبل أضل وأشد قتامة وسوادا قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

[١] سورة فاطر آية ٣٤ ــ ٣٥

[٢] سورة البقرة آية ٦٢

[٣] قال المباركفوري: قوله: (يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين) أي خلقة (أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة) أو للشك من الراوي ، وقد وقع في حديث أبي هريرة عند أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي أبناء ثلاث وثلاثين بالجزم.[تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٢١٥]

[٤] سنن الترمذي، كتاب: صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، حديث رقم: ٢٤٦٨/ مسند الإمام أحمد، مسند معاذ بن جبل، حديث رقم: ٢١٠١٦، ورقم : ٢١٠٦٧

[٥] سورة الكهف آية ١٠٨

[٦] سورة القيامة آية ٢٤ ــ ٢٥

عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [١] والهموم والغموم تؤثران في الوجه ولون الجسم تأثيرا كبيرا فنجد العانس بادية الشحوب كأنها من سكان القبور، وترى وجوه العوانس ظمآنة عجفاء، مقروفة [٢] مسنونة، [٣] والبشرة شاحبة خضراء، تتجمع الغضون حول زوايا الأفواه، وتحملق العيون، وتسترخي الجفون، وترى اللون شاحبا والجلد خشنا ، يابسا لا ينفع فيه استعمال الأدهان والمساحيق بغية المحافظة على بضاضة البشرة، ورفاغتها [٤] وجعلها لامعة غضة بينما تكون المتزوجات لطيفات الجوانح ممشوقات القوام رشيقات القدود منخرطات الجسم كالسارية أو كخوط البان أو قضيب الخيزران.

٣ـ هزال الجسم:

السعادة تظهر على وجه المرء كما تظهر على جسده، فالسعيد ترى الاغتباط في وجهه وتحس الانشراح في صدره، والحيوية والصحة في بدنه. وليس معنى ذلك أن كل هزيل الجسم ضامر البدن، شقيا أو أنه يعيش جملة من المشاكل والهموم، ولكن الغالب على السعداء، أن تظهر آثار السعادة على وجوههم، من نضرة وجه وانشراح صدر وطيبة نفس، كما أنها تظهر على الجسد من وفور صحة ولحظ عافية وزيادة وزن وضخامة حجم ولذا نلاحظ أن أوزان النساء المتزوجات أكثر من غير المتزوجات مع العلم أن الرشاقة صارت هوسا عاما لدى النساء في هذا العصر ولذا فهن يتبعن أنواعا

---

[١] سورة عبس آية ٤٠ ــ ٤٢

[٢] ضامرة نحيفة

[٣] مخرضة

[٤] لينها [انظر : البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد]

معينة من الطعام ويمتنعن عن أخرى، ويمارسن رياضات معلومة لديهن، يفعلن كل ذلك خوفا من الإصابة بالبدانة وفرارا من مداهمة السمنة، وهذا من تغير مفاهيم الجمال عند المرأة المعاصرة خلافا لسابقتها، وكان الرجل العربي بصفة عامة ـ ولا يزال البعض منهم ـ يفضل المرأة البدينة على غيرها، وتعلم المرأة ذلك تمام العلم ولذا تتبع بدلا من التخسيس التسمين والتلحيم،[١] والتصنع لذلك[٢] وتساعد البيئة في هذا الأمر، وقد تستعمل أغذية معينة كالقشدة[٣] والفتيت والسويق[٤] والعفاوة[٥] والرطب بالقثاء حتى

---

[١] التسمين والتلحيم عند العرب يسمى الودن : والوَدْنُ والوِدانُ: حُسْن القيام على العَرُوس، وقد ودَنوها. ابن الأعرابي: أَخذوا في وِدَانِ العروس إذا عَلَّلُوها بالسَّوِيق والتَّرَفُّه للسِّمَنِ. يقال: وَدنوه وأَخذوا في وِدَانه؛ وأَنشد:

بئس الوِدانُ للفَتى العَرُوسِ ضَرْبُكَ بالمِنْقار والفُؤُوسِ

[لسان العرب، مادة: ودن]

[٢] صُنِعَت الجارية، كعُنِيَ: أُحْسِنَ إليها حتى سَمِنَتْ، كصُنِّعَتْ، بالضم، تَصْنيعاً، وصَنَّعَ الجارية، بالتشديد، أي: أحْسِنْ إليها وسَمِّنْها، لأن تَصْنِيعَ الجارية لا يكونُ إلا بأشياءَ كثيرةٍ وعِلاجٍ. [القاموس المحيط، باب العين. فَصْلُ الصَّاد]

[٣] القَشْدَةُ هي الزبدة الرقيقة. والقَشْدَة أنك تذيب الزبدة فإذا نضجت أفرغتها وتركت في القدر منها شيئاً في أسفلها ثم تصب عليه لبناً محضاً قدر ما تريد، فإذا نَضِجَ اللبن صببْتَ عليه سمناً، بعد ذلك، تسمن به الجواري. والمحفوظ عن الثقات القَشْدَة، بالدال، ولعل الذال فيها لغة لم نعرفها. [لسان العرب، مادة: قشذ]

[٤] قال الشاعر [لسان العرب، مادة بدد، ج ٤ ص ٣٣٨]:

جارية أعظمها أجمها قد سمنتها بالسويق أمها

[٥] العِفاوةُ: الشيءُ يُرْفَع من الطَّعام للجارية تُسَمَّنُ فَتُؤْثَرُ به؛ قال الكميت [لسان العرب، مادة: عفا]:

وظَلَّ غُلامُ الحَيِّ طَيَّانَ ساغِباً وكاعِبُهُم ذاتُ العِفاوَةِ أَسْغَبُ

تسمن، فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَرَادَتْ أُمِّي أَنْ تُسَمِّنَنِي لِدُخُولِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَقْبَلْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تُرِيدُ حَتَّى أَطْعَمَتْنِي الْقِثَّاءَ [١] بِالرُّطَبِ فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ السَّمْنِ.[٢]

مع أنه بصفة عامة فالممدوح في المرأة العربية قلة الأكل وعدم الشراهة. مدح المرأة بقلة الطعام وأن تكون المرأة مجدا: والمجد نَحْوٌ من نصف الشبع؛ وقال أبو حية يصف امرأة:

ولَيْسَت بماجِدةٍ للطعامِ ولا الشراب

أي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب.[٣]

والهموم سبب لضعف البدن ولهزال الجسم قال الشاعر:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي وبهرم

ونقصد بالهزال، الهزال المفرط وبروز العظام ونتوئها وظهور رواهش اليدين وعروق القدمين ونتوء عظام الوجه، وأن تكون العانس كأنها من الناجين من المجاعات.

٤ـ تخدد الوجه:

خَدَّدَ لحمُه وتَخَدَّدَ: هُزل ونقص؛ وقيل: التَّخَدُّد أن يضطرب اللحم من الهزال. والمُتَخَدِّدُ: المهزول. رجل مُتَخَدِّد: مهزول، قليل اللحم. وقد خَدَّد لحمُه وتَخَدَّد أي تَشَنَّج. وامرأة مُتَخَدِّدة إذا نقص جسمها وهي سمينة.[٤] والتخدد هو اضطراب الجلد

---

[١] القثاء بكسر القاف اسم لما يسميه الناس الخيار وبعض الناس يطلق القثاء على نوع يشبه الخيار.

[٢] سنن أبي داود، كتاب: الطب، باب: في السمنة، حديث رقم: ٣٤٠٤/ سنن ابن ماجة كتاب الأطعمة، باب: القثاء والرطب يجمعان، حديث رقم: ٣٣١٥

[٣] لسان العرب، مادة: مجد

[٤] لسان العرب مادة: خدد

واسترخاء اللحم وهو أن يصير فيه خدود ويقال: قد خدد جلده وقد نغض وقد انخنث كل ذلك إذا تكسّر، قال طرفة بن العبد البكري:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد

أي لم يضطرب والتخدد مشتق من الخد لأنه يضطرب عند الأكل. [1] والتخدد يحدث في جسم الإنسان ووجهه لعوامل عدة منها :

أ ــ الكبر ب ــ المرض

ج ــ الهم د ــ الخوف

هـ ــ السهر و ــ الحزن

ز ــ التعب والإرهاق المتواصل ح ــ الجوع

ط ــ الهزال وانحسار اللحم بعد السمن

وترى وجوه العوانس متخددة فالعانس بنت الثلاثين تكون صورة وجهها مماثلة لامرأة متزوجة في الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر، فوجه العانس يكون شاحبا شحوب الموتى متخددا كتخدد امرأة بلغت من العمر عتيا بينما تكون المرأة المتزوجة ناضرة الوجه ظاهر السرور، ويكون هذا بسبب الحزن على ما مضى والخوف مما سيأتي مما سبب لهن سهرا نتج عنه هذا التخدد.

٥ـ ذهاب البكارة :

غشاء البكارة غشاء رقيق يغطي قبل الفتاة العذراء [1] وتكون به ثقوب تمكن من نزول البول ودم الحيض، وهذا الغشاء يزول بأول جماع محدثا صوت فرقعة مسموعا للزوج والزوجة مع نزول قطرات دم تتفاوت قلة وكثرة من فتاة لأخرى.

---

[1] انظر شرح المعلقات العشر ص ١٤٠ / شرح السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ١٤٧

وتوجد أنواع من أغشية البكارة لا تحدث صوتا عند الجماع تسمى الأغشية المطاطية وهي تزول بقدوم أول مولود للمرأة. ولذا يظن كثير من الأزواج أن عدم حدوث صوت أو نزول دم سببه تفريط الفتاة في نفسها، ولعل السبب أن تكون بكارة هذه الفتاة من هذا النوع، وهذا يمكن إثباته طبيا.

وفي المرأة البالغة تكون البويضة جاهزة كل شهر للإخصاب فإن وجدت تلقيحا وإلا نزلت في شكل دم، كما أن هذا الغشاء مع طول الزمن واستمرار عنوسة الفتاة وعدم ظفرها بزوج يكون بين احتمالين:

ـ أن يزداد صلابة وهذا هو الأعم الأشهر عند معظم الفتيات ولذا تعاني الفتاة غير المتزوجة أو العانس في نزول دم الحيض أكثر من الفتاة المتزوجة. وإن تزوجت الفتاة العانس بعد طول انتظار وتقدم سن فإن افتضاضها لزوجها يكون أصعب بكثير من الفتاة صغيرة السن نسبة لصلابة غشاء البكارة.

ـ أن تتسع فتحات غشاء البكارة وثقوبه أو يذهب بالكلية لأن دم الحيض يكون أحيانا كثيفا جدا [٢] وأحيانا في شكل قطع دم تؤثر في هذا الغشاء وتزيد من اتساعه وقد تذهب به وهذا نادر الحدوث وهو من الأشياء التي يسئل عنها أهل العلم والقضاة والأطباء.

---

[١] قال ابن الأثير: العَذْرَاء: الجَارِيةُ التي لم يمسَّها رجل، وهي البِكْر، والذي يَفْتَضُّها أبو عُذْرها وأبو عُذْرتها. والعُذْرة: ما للبكْر من الالْتِحَام قبل الافْتِضاضِ.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر}]

[٢] روضة الطالبين ج ٧ ص ٥٤ / بدائع الصنائع ج ٢ ص ٢٤٤

سئل الشعبي عن رجل دخل بامرأة على أنها بكر ، فقال: لم أجدها عذراء ، فقال: لا شيء عليه لأن العُذْرةَ قد تُذْهِبُها الحيضةُ والوثْبةُ وطولُ التَّعْنيس.[١]

وعن حجاج عن عطاء قال: سألت عن الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء قال: ليس عليه شيء إن العذرة تذهب من الوثبة والمرض وطول التعنيس.[٢]

وعن معمر عن الحكم بن أبان عن سالم قال: سألته عن الرجل يقول لامرأته: لم أجدك عذراء قال: لا بأس العذرة تذهبها الوثبة والشيء.[٣]

٦ـ شيب الرأس:

الإنسان في مراحل حياته يمر بمراحل وأطوار من طفولة وصبا وكهولة وشيخوخة، وسواد الشعر من علامات الشباب وبياضه من علامات الشيخوخة، وقد يأتي الشيب للإنسان مبكرا فقد يهاجم الشيب المرء قد أوانه ويخط رأسه، ويرى القتير ويأتيه النذير ولا يكون ذلك بسبب إعذار الله[٤] له وبلوغه الستين،[٥] ولا بسبب قراءة

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر} ومادة: {عنس} / لسان العرب ، مادة : عذر

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ ــ ٤٩٤، في الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء، حديث رقم: ٢٨٣٠٧

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ ــ ٤٩٤، في الرجل يقول لامرأته لم أجدك عذراء، حديث رقم: ٢٨٣٠٨

(٤) قال ابن الأثير: لقد أعْذَر اللّهُ مَنْ بَلَغَ العمْر ستِّين سَنَة أي لم يُبْق فيه مَوْضعاً للاعْتذَار حيث أمْهَله طولَ المُدَّة ولم يَعْتذِر. يقال: أعذَرَ الرَّجُل إذا بَلَغ أقْصَى الغَايَة من العُذْر. وقد يكونُ أعْذَر بمعنى عَذَر. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر}]

(٥) قال البخاري رحمه الله تعالى: بَاب مَنْ بَلَغَ ستِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يَعْنِي الشَّيْبَ. [صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب

سورة هود وأخواتها التي شيبت النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ شِبْتَ [١] قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ.[٢]

ولكن يكون شيبه بسبب عوامل عدة منها:

ـ الخوف : قال الله تعالى ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [٣]

ـ تقدم العمر : قال الصلتان العبدي :

مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾]

[١] قال المباركفوري: قوله: (قد شبت) من الشيب هو بياض الشعر. قال القاري: أي ظهر عليك آثار الضعف قبل أوان الكبر وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه لما روى الترمذي عن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء (شيبتني) من التشييب . وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة . والمثلات النوازل بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوانه.[تحفة الأحوذي ج ٩ ص ١٣١]

[٢] سنن الترمذي: كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة الواقعة، حديث رقم: ٣٢١٩

[٣] سورة المزمل آية ١٧

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرور الغداة ومر العشي[١]

ـ الهموم والانشغال: قال السليك بن السلكة موضحا سبب شيبه وأنه رؤية امتهان خالاته وعجزه عن تخليصهن:

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرجال

عز عليَّ أن يلقين ضيما ويعجز عن تخلصهن مالي[٢]

وقد صور أحد الأعراب وكان له أولاد، الهموم التي لزمته والديون والأطفال الذين أحنوا ظهره، حتى تمنى التخلص منهم وفراقهم، رغم أنه كلف في زواج أمهم مالا من مهر وجهاز ووليمة ونحوها، فقال :

الناس يُعطون أموالا وميسرة وأنت أعطيتني يا رب صبيانا

خذهم إليك فكل صار في خلق وأنت أعطيته يا رب عريانا

قد كنت كُلفتهم في أمهم ثمنا فخذهم عاجلا يا رب مجانا[٣]

بما أن العنوسة من أعظم أسباب الهموم على الفتيات فإنها تؤثر فيهن فتشيب رؤوسهن ويبيض سواد شعورهن ويسود بياض وجوههن وتشحب ألوانهن وتنحني ظهورهن.وتحرص النساء بصفة عامة حرصا شديدا على إخفاء الشيب وتغييره فيستعملن الأصباغ السوداء والحناء وغيرها لإخفاء آثار الشيب لتمام معرفة النساء بعزوف الرجال

---

(١) الشوارد، لعبد الله بن محمد خميس ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ،ج ٢ ص ٦٢٣

(٢) خزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٨ / الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، ص ٥٠

(٣) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٣٢٦

وازورارهم عن ذوات الشيب من النساء وزهدهم فيهن مع علم الرجال ذي الشيب أن فيهم مستمتعا للنساء، قال دعبل بن علي الخزاعي:

تعجبت إذا رأت شيبي فقلت لها ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين ومكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتتبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب[1]

٧ ـ مشاكل وتغيرات صحية :

عن المشاكل والتغيرات الصحية الناجمة عن تقدم العمر وتأخير الزواج توضح د. فتحية بنت إبراهيم الجامع (أمراض نساء وتوليد) أن المرأة يحدث لها عدم التوازن إذا ما اقتربت من سن اليأس، فإذا لم يدركها الحظ بالزواج والإنجاب تبدأ الحالة النفسية عندها بالاضطراب مما يترتب عليه إصابتها بالاكتئاب والقلق النفسي.

كما أن نسبة الخصوبة عند المرأة تصل إلى القمة في سن الخامسة والعشرين، وبعد ذلك تقل تدريجيا حتى سن اليأس ونتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر تصبح نسبة الحمل في تناقص مستمر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سن الأربعين.

وتكثر الأورام الليفية في النساء ما بين عمر ٣٠ إلى ٤٥ سنة، فإذا وصلت المرأة إلى هذا العمر ولم تنجب فإن هناك علاقة بنسبة بسيطة بين هذا الورم وعملية الإنجاب تتراوح بين ٢ : ١٠ بالمائة، كما أن نسبة الإجهاض التلقائي والولادة المبكرة، وتعسر الولادة مصاحبة لهذا الورم فإذا ما استؤصل كان له تأثير سلبي في عملية الحمل والولادة. فكل امرأة تحمل بعد سن الخامسة والثلاثين لأول مرة تعد في سن الإنجاب المتأخر، كما

---

[1] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٠

أن المرأة تكبر في السن، وتكبر معها البويضات مما يؤدي إلى زيادة نسبة الأطفال المغوليين، و لا سيما بعد الأربعين ففي سن العشرين طفل واحد بين كل ١٩٢٣ طفلا – وفي سن الخامسة والعشرين طفل بين كل ٣٦٥، وفي سن الأربعين طفل بين كل ١٠٩ أطفال، وفي سن الخامسة والأربعين طفل بين كل ٣٢ طفلا، ويتزايد الإجهاض التلقائي مع زيادة عمر المرأة، إضافة لحدوث الحمل العنقودي كما تزيد نسبة الولادة القيصرية بمعدل ٤ مرات عند الأمهات المتقدمات في السن عن مثيلاتهن في سن الإنجاب المبكر.[1]

وتقدم لنا الباحثة الإماراتية نورة عبيد الزعابي الآثار الطبية لتأخر سن الزواج لدى البنات كالتالي:

تنخفض قدرة المرأة بعد سن الثلاثين على الحمل والإخصاب.

تزداد احتمالات الإجهاض.

بعد سن الأربعين تصاب البويضات بالشيخوخة فيؤدي الحمل إلى عيوب في الانقسام والتكوين فتظهر العيوب الخلقية.

الحمل بعد سن الأربعين يحتاج لرعاية مكثفة لصحة الحامل لأن هناك أمراضا قد تصادف الحامل في هذا العمر مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري.

تؤكد الأبحاث الطبية أن السيدات اللائي ينجبن في سن مبكرة يكن اقل قابلية للإصابة بسرطان الثدي.

---

[1] انظر موقع العانس على الإنترنت، مقال : (العنوسة، أسباب وملابسات) للشيخ عقل بن عبد العزيز العقل المنشور بجريدة الجزيرة عدد: ٧٧٠٦

تؤكد الأبحاث أن مشكلات الحمل والولادة اقل ما تكون في العشرينات وترتفع باطراد مع زيادة تقدم سن المرأة.[١]

[١] انظر موقع العانس على الإنترنت / أسرار في حياة العانسات بثينة العراقي

المبحث الثاني
الآثار النفسية للعنوسة

١ـ الحزن والاكتئاب

٢ـ القلق والسهر

٣ـ الشك وسوء الظن والتأويل

٤ـ نظرات المجتمع إلى العانس

٥ ـ نشوء أمراض الحسد والبغض

٦ـ الانتحار

٧ـ الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس

٨ـ الخداع والتغرير وإخفاء العمر الحقيقي

٩ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين

١٠ـ الوقوع في المخالفات الشرعية

١١ـ الشرود الذهني وإدمان الفكر

١٢ـ اليأس والإحباط

المبحث الثاني

الآثار النفسية للعنوسة

يكاد علماء النفس والاجتماع يجمعون على أن تداعيات العنوسة لا تتوقف علي الفتاة وحدها، وإنما تمتد لتشمل باقي أفراد الأسرة جميعا، فالأب ــ مثلا ــ قد ينساق وراء نصائح زوجته بالبحث عن عريس لابنته بين كل المحيطين به والمتعاملين معه، فيلجأ إلى عرض ابنته بطرق غير مباشرة على بعض زملائه أو أبنائهم، وإذا فشل في ذلك فإنه يلجأ إلى أساليب لا شعورية تخفف عنه، كأن يبلغ الآخرين مثلا بأن ابنته قد تقدم لها الكثيرون ولكنه رفض ــ أو رفضت هي ــ لأسباب متعددة، وربما تعايش مع هذا الكذب حتى يعتقد بأن ما يرويه من أكاذيب هو الحقيقة بالفعل، وهو ما يقوده في نهاية المطاف إلى كثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمتد هذه التداعيات لتشمل علاقة الأب بابنته العانس، فينهج في تعامله معها طريقة من بين ثلاث طرق، فإما التغاضي عن هذه المشكلة ، وترديد عبارات مثل "القسمة والنصيب" و" ربنا عايز كده "، وإما التشدد والعنف في تعامله مع ابنته وتشديد الرقابة عليها، لأنه يظن ــ لا شعوريا ــ أن في ابنته شيئا ما خطأ جعل الآخرين يعزفون عن التقدم إليها، وإما ترك الحبل لها على الغارب بدعوى أن كثرة خروج ابنته ورؤية الآخرين لها قد يدفع أحد الشباب إلى الاقتران بها. وبينما يكون هذا حال الأب، فإن الأم تعيش هذه المشكلة بكامل طاقتها وعصبيتها وقلقها واكتئابها، فهي كأم تشعر بعمق أحاسيس ابنتها، وتعيش على حلم أن ترى ابنتها في عش الزوجية وأن ترى أحفادها، ومن ثم فقد تنتابها حالات من الاكتئاب، وقد تلجأ إلى السحرة والدجالين ظنا منها أن ابنتها " معمول لها عمل"، وقد تلجأ إلى الدلالات لتعرض عليهن مشكلة ابنتها، مع وعدهن بمكافأة سخية إذا أحضرن لابنتها عريس المستقبل غير أن الأم في بعض الأحيان

قد يكون إيمانها قويا فتقوم بالتخفيف عن ابنتها وحثها على الرضا بقضاء الله. أما الأخت الصغرى، فلاشك أن مشاعرها تكون مبهمة وغامضة، وقد تهيئ نفسها لأن تكون في الوضع ذاته وتعيش نفس المأساة ــ أي لا تتزوج مثل أختها ــ وقد تتفنن في ابتكار طرق مختلفة لجذب أنظار الشباب والدخول في علاقات آثمة مع بعضهم، ظنا منها أنه إذا وقع المحظور فإن هذا يضمن لها الفوز بعريس المستقبل وألا تواجه نفس مصير شقيقتها بينما إذا كانت شقيقات الفتاة متزوجات فإنهن يشعرن بالأسى تجاه أختهن، وفي الوقت ذاته يشعرن أيضا بالنقص أمام أزواجهن، خاصة إذا سألوهن عن سر عدم زواج أختهن أو حملت أسئلتهم تلميحات حول سلوك الفتاة وطباعها. ومن البدهي بطبيعة الحال أن تكون الفتاة نفسها أكثر أفراد الأسرة معاناة من مضاعفات العنوسة، وعلى رأسها المضاعفات الجسدية، فعلى مستوى الجسد تشعر الفتاة العانس بألم في أسفل البطن، نظرا لأن غشاء البكارة يمنع في بعض الحالات خروج دم الحيض بسهولة فضلا عن ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الثدي لدي العوانس كما تشير بعض الدراسات التي أجريت مؤخرا. وتمتد تداعيات العنوسة لتشمل قائمة طويلة من الأمراض النفسية، أقلها الشعور بالاضطرابات والقلق والتخوف من المستقبل وعدم الاستقرار أو راحة البال ففي المجتمعات العربية تحديدا يعد الزواج " سترة " للفتاة وحفظا لكرامة أسرتها، ومن ثم فإن تقدمها في السن دون زواج قد يثير العديد من الأقاويل التي تمس سمعة الفتاة وسمعة الأسرة، من قبيل أن البنت "بارت" أو أنها غير صالحة للزواج، فتشعر بالدونية وبأنها أقل من الأخريات، وبخاصة عندما تصرخ بداخلها نداءات الأنوثة والأمومة، وهو ما قد يدخلها في دوامات من القلق والاكتئاب واليأس والتشاؤم من الحياة وربما حاولت الفتاة التغلب على هذه الدوامات باللجوء إلى توثيق صلتها بالله أكثر، غير أنها قد تغلو دينيا فتمارس دور المفتي في التحليل والتحريم. وقد تسلك الفتاة العانس طريقا مغايرا تماما

للهروب من دوامات القلق واليأس هذه، فتلجأ إلى الابتذال والسفور غير الطبيعي في ملابسها وهندامها بطريقة تثير غرائز الشباب، رغبة في إثبات الذات والشعور بأنها مرغوبة مثل باقي أترابها ، بل وربما سعت في الوقت ذاته إلى كثرة الاختلاط بالشباب في الأماكن العامة وفي العمل والأسواق تحت زعم ما يسمى بالصداقة. ورويدا رويدا قد يتحول هذا الابتذال والسفور إلى انحلال خلقي، فتندفع الفتاة إلى الانحراف وإقامة علاقات جنسية سرية وعابرة لإشباع رغباتها خارج مؤسسة الزواج، أو إلى ما يسمى بالزواج العرفي أو السري ، بيد أنها رغم ذلك تظل في كلتا الحالتين محرومة من مشاعر الأمومة ومن الإحساس بالأمان . وفي الوقت الذي أعلنت فيه وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية ارتفاع معدلات الزواج العرفي بين طلبة الجامعات، فقد أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من ١٥٠٠٠ دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي أو زنا، والزيادة المطردة في أعداد اللقطاء الذين يعثر عليهم أمام المساجد أو المساكن أو في صناديق القمامة، وعودة ظاهرة قتل المواليد من سفاح، فضلا عن تفشي الانحلال في المدن الكبرى وربما كان من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن الانحلال الخلقي والزواج العرفي ليس الطريق الحتمي لهروب الفتاة العانس من دوامات القلق والخوف والاكتئاب ، فمن البدهي أن ذلك يرتبط في نهاية المطاف بمدى تدينها وبثقافتها وتعليمها ، بالإضافة إلى طبيعة شخصيتها بالقطع، فإذا كانت الفتاة ذات شخصية ضعيفة فإن الانحلال والزواج العرفي يكونان أقصر وأسهل الطرق التي ترتمي الفتاة في أحضانها وتسلم لها قيادها أما إذا كانت الفتاة تتمتع بشخصية قوية فإنها تنأى بنفسها عن ذلك ، ولكنها في الوقت نفسه قد تضطر ــ رغبة في التخلص من شبح العنوسة ــ إلى القبول بأي زوج يتقدم إليها ، حتى لو كان اختيارها اختيارا غير متكافئ (تشير إحصائيات وزارة العدل المصرية ــ مثلا ــ إلى زواج نحو ٢٠٠ ألف فتاة مصرية

من أثرياء أجانب كبار السن) ، وهو ما يفضي في النهاية إلى طلاق مؤلم ، سواء أكان طلاقا محسوسا أو معنويا وكم من زوجات وأزواج يجمعهما بيت واحد إلا أنهما منفصلان نفسيا ومعنويا !! ويأتي ارتفاع ظاهرة الزواج من أجنبيات ليشكل بعدا آخر من أبعاد مشكلة العنوسة ، إذ بدأت هذه الظاهرة تغزو أغلب المجتمعات العربية بكثافة شديدة ، لدرجة أن دراسة صادرة عن وزارة الداخلية السعودية قد طالبت بمنع زواج الشبان السعوديين من أجنبيات بعد أن بلغ عدد الزوجات الأجنبيات اللاتي حصلن على الجنسية السعودية خلال السنوات الخمس الأخيرة نحو تسعة آلاف زوجة، مشددة على أن تفشي هذه الظاهرة يؤثر سلباً على الأطفال وعلى استقرار الأسرة في حالة حدوث خلاف أو طلاق بينما كشفت دراسة أخرى لوزارة العدل المصرية عن أن هناك اتجاهاً يسود بين الشباب المصريين للارتباط بزوجات من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا الشرقية. كل هذه التداعيات السلبية التي أفرزها تفشي ظاهرة العنوسة في المجتمعات العربية ترسم العديد من علامات الاستفهام العريضة ، وتطرح السؤال الذي يفرض نفسه بقوة : إذن ما الحل ؟ وما هو دور المؤسسات الاجتماعية العربية – الحكومية والخاصة – في معالجة ظاهرة العنوسة؟[1]

بعد هذه المقدمة المستفيضة التي نسأل أن يثيب كاتبها خيرا يمكن حصر بعض الآثار النفسية في الآتي:

---

[1] مداخلة للمشارك عمرو سالم بعنوان عودة لازمة للعنوسة. على موقع: إسلام أون لاين

١ـ الحزن والاكتئاب :

راحة البال وخلوه من المنغصات من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على أهل الجنة قال الله تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [١] كما أن من نعم الله عز وجل عليهم أن أذهب عنهم الحزن، قال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٢] والهم والغم والحزن من أعظم أسباب الكآبة [٣] قال عمر بن أبي ربيعة :

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم من الحزن تذري عبرة تتحدر[٤]

والكآبة لا تقتصر على صاحبها والمكتوي بنارها فحسب بل تتعدى آثارها إلى غيره من الأهل والأحباب ، قال هدبة بن خشرم العذري بعد أن حبس وحكم عليه بالقتل وحزن أهله عليه واكتأبوا وبخاصة ابن عمه أبو نمير، فقال معزيا له ولهم :

---

[١] سورة محمد آية ٥

[٢] سورة فاطر آية ٣٤

[٣] الكَآبةُ بالمد سوء الحال والانكسار من الحزن وقد كَئِبَ من باب سلم وكَأْبَةً أيضا بوزن رهبة فهو كَئِيبٌ وامرأة كَئِيبَةٌ وكَأْبَاءُ بالمد. [مختار الصحاح: للرازي باب الكاف ص ٥٨٦]

[٤] الأغاني ج ١ ص ٧٩ ــ ٨٠ (طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي)

يؤرقني اكتئاب أبي نمير فقلبي من كآبته كئيب[١]

والكآبة موت دماغي لأنها تشل حركة الإنسان وفكره ، فلا يستطيع أن يكون سوي التفكير، فيكون صاحبها ميتا بين الناس، قال صالح بن عبد القدوس البصري:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء[٢]

وتتسبب الكآبة في مرض الاكتئاب وهو مرض خطير وداء عضال يخشى بأسه ، لشبهه بالجنون.

والعنوسة من أعظم أسباب الكآبة عند الفتيات فترى العانس كئيبة كاسفة البال دائمة التفكير مبلبلة الخواطر.

٢ـ القلق والسهر :

النوم بالليل آية من آيات الله تعالى نبه سبحانه وتعالى عباده إليها ممتنا بها عليهم فقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [٣] فهو سبات يرتاح فيه الناس ويسكنون فيه من عناء يومهم قال

---

[١] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣/ شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الرابعة عشرة جمادى الأولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ج ١ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨

[٢] تاريخ بغداد ج٩ص٣٠٣

[٣] سورة الروم آية ٢٣

الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [١] وقال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [٢] وترك النوم يكون لأسباب عدة:

ـ أحيانا يكون السهر للتهجد، قال الله تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٣] قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ [٤]

ـ أحيانا يكون ترك النوم للمرض، لأن أعضاء الجسم إذا اشتكى منها عضو تتأثر له البقية: فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. [٥]

ـ أحيانا ترك النوم يكون للعشق، والتتيم بالمحبوب والتفكير في محاسنه، والتأمل في صفاته، قال المتنبي:

---

[١] سورة عم آية ١٠ ـ ١١

[٢] سورة الفرقان آية ٤٧

[٣] سورة السجدة آية ١٦

[٤] صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب: من تعار من الليل فصلى، حديث رقم: ١٠٨٧

[٥] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٥٥٢/ صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: ٤٦٨٥

ليالي بعد الظاعنين شكـول طوال وليل العاشقين طـويل

يبن لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرا ما إليه وصول[١]

ـ وقد يكون ترك النوم للانشغال بالعلم والبحث والتنقيب بين الكتب ، وقـد يبلغ استلذاذ صاحب العلم بسهره في حل معضلات العلم والاطلاع والتنقيب في بطون الكتب مبلغا يفوق سهر استلذاذ صاحب اللهو بلهوه ، بل يستغرب مدمن السهر مـن أجل العلم نوم الآخرين مع رغبتهم في منافسة الساهرين ، وقد عكس هذا الزمخشـري بقوله :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لـي من وصل غانية وطيب عنـاق

أأبيت سهران الدجى وتبيتـه نوما وتبغى بعد ذاك لحاقي[٢]

ـ كما أن ترك النوم يكون في أحايين أخر للهموم والانشغال بأمر من الأمـور التي أهمت هذا الشخص فأقضت مضجعه وأرقت ليله، وهذه صفة الزعمـاء كـالزعيم الذي يهمه أمر رعيته، والوالي الذي يعنيه أمر من ولوه، قال لقيط بن يعمـر الإيـادي يصف صفات الزعيم المرتقب لقبيلة إياد الذي يجب أن يولوه في حـربهم ضـد فـارس آخذين من الصفات التي ذكرها ما يتعلق بالسهر وترك النوم تاركين غيرها:

وقلـدوا أمـركم لله دركـم رحب الذراع بأمر الحرب مضلعا

لا يطعـم النـوم إلا ريث يبعثه هـم يكاد حشـاه يقطـع الضلعا

مسهـد النوم تعنيه ثغـوركـم يروم منهـا للأعـداء مضلعـا[٣]

---

[١] قرى الضيف ج ١ ص ١٨٥

[٢] الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٠٩ـ٣١٠

[٣] الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

هذا وقد يتخذ بعضهم الليل مطية لقضاء مآربه، ودرعا ومجنا يتقي به الوقوع في سوء ما يعمل.[١]

وترك النوم في الجملة علامة من علامات التعب والعلل التي تشكى للآخرين ، قال بعضهم :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل[٢]

وبصفة عامة فقلة النوم من الصفات التي يتمدح بها العرب،[٣] وتوجد أدعية في السنة لجلب النوم ودرء السهر.

ومن آثار العنوسة ، أن العانس تسهر سهرا كثيرا، ويتجافى جنبها عن مضجعها ليلا طويلا، وتكون في أحلام يقظة سوداء، فتفكر في شؤمها ونكدها، وسوء طالعها. وعدم حظها، وأنها لم تتزوج إلى الآن، وتتساءل بينها وبين نفسها عدة تساؤلات: هل سيكتب لها الزواج؟ ومن هو الذي سيتزوج بها؟ ومتى يكون ذلك؟ ومن سيرضى بها بعد هذا العمر؟ وتستمر معها هذه الأفكار السوداء، والنظرة القاتمة، التي تكتنفها السحب الغائمة، تأخذ منها هذه الأفكار فترة طويلة من الليل، ولو غلب النوم هذه الفتاة فقطع عليها هذه الأفكار السوداء المظلمة، فإن أفكارها هذه تتحول إلى أحلام وتتواصل معها إلى بزوغ الفجر، ومن ثم فهي تنام نوما قلقا مضطربا، مليئا بالهواجس والأفكار المزعجة،

---

(١) قيل: الليل أخفى للويل [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٨٦]

(٢) دلائل الأعجاز للجرجاني ج ١ ص ١٨٤/ الإيضاح في علوم البلاغة خ ١ ص ١٥٣

(٣) قال ابن منظور: رجل سُهُدٌ: قليلُ النوم؛ قال أبو كبير الهذلي[لسان العرب ، مادة : سهد]:

فَأَتَتْ به حُوشَ الفُؤادِ مُبَطَّناً سُهُداً، إذا ما نامَ ليلُ الهَوْجَلِ

فهي تترآى لها مشاكلها في نومها، في صور محزنة، وأشكال مخيفة مفزعة، لأنها مشغولة بها في يقظتها.[١]

ولو علمت هذه الفتاة أن أمر المؤمن كله خير في سرائه وضرائه وأفراحه وأحزانه لكفاها ذلك وقرت عينها ، فعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.[٢]

٣ـ الشك وسوء الظن والتأويل :

تعاني العوانس بصفة عامة من الشك في تصرفات الآخرين، وسوء الظن بهم، وتفسير ما يصدر منهم من أفعال، وتأويل ما يتفوهون به من أقوال تفسيرا سيئا بعيدا عن الحقيقة، لم يخطر ببال من صدر منه الفعل أو بدر منه القول. فهي تظن أن كل نظرة نحوها هي نظرة شك وارتياب، وأن أي ضحكة صدرت من آخر المقصود منها التهكم والسخرية منها، وأن كل كلام ونجوى بين اثنين، هي المعنية والمراد به، فقصد هؤلاء المتناجين المتهامسين الضاحكين، السخرية منها والاستهزاء بها والانتقاص من قدرها فهي عانس، وهي تريكة [٣] وهي مقلمة، [٤] ويكفيها ذلك خزيا وعارا ونقصا.وتبني العانس

---

[١] انظر أنواع الرؤى والأحلام في: المخالفات الشرعية في الأشعار العربية للمؤلف

[٢] صحيح مسلم: كتاب الرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: ٥٣١٨

[٣] التَّريكة: التي تُتْرَكُ فلا تتزوج، ولا يقال ذلك للذكر ، قال ابن الأعرابي: تَرِكَ الرجلُ إذا تزوج بالتَّريكة وهي العانسُ في بيت أبويها.[لسان العرب، مادة: ترك]

[٤] القَلَمُ: طول أَيْمة المرأة. وامرأة مُقَلْمة أي أَيِّم. قال ابن الأعرابي وخَطَب رجل إلى نسوة فلم يُزَوِّجنه، فقال: أظنكنّ مُقَلْمات أي ليس لكنّ رجل ولا أحد يدفع عنكن. ابن الأعرابي: القَلَمة

الحقائق على الأوهام، وتجاهر الآخرين بالعداوة، وتقابلهم بالغلظة في القول والفظاظة في الفعل، نتيجة التفسيرات الخاطئة والظنون الكاذبة، والوشايات المغرضة، [١] وقد تتشابك مع لداتها وبنات جلدتها بالأيدي، فتخدش أجسامهن، وتخمش وجوههن، وتخدش خدودهن، وتنتف شعورهن، لا لشيء سوى أن هندا ودعدا صادف ضحكهما مرورها، فظنتهما يعنيانها بالأمر،[٢] ويضحكان ويسخران منها، وواقع الأمر أنهما يضحكان في أمر آخر خلاف ما تصورته هذه العانس، ولكنها أخطأت سمعا فأخطأت إجابة.[٣] وساءت فعلا.

٤ـ نظرات المجتمع إلى العانس:

العوانس قطاع عريض من قطاعات المجتمع ، فعلى المجتمع التعامل معهن بحيطة وحذر ، وذلك بعدم جرح مشاعرهن واعتبارهن عبأ عليه وكلفة زائدة على أسرهن ،

العُزّاب من الرجال، الواحد قالِمٌ. ونساء مُقَلِّمات: بغير أزواج.[النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {قلم}/ لسان العرب، مادة: قلم]

[١] انظر سوء الظن في الخلافات بين الأقارب

[٢] قال الله تعالى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المنافقون آية ٤)

[٣] قيل: أَسَاءَ سَمْعاً فَأَسَاءَ جَابَةً. قال المفضل: إن أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه، يريد التحتي، فوقفا بحزورة مكة، فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال الأخنس: حياك الله يا فتى، قال: لا والله ما أمي في البيت، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: أساء سمعا فأساء جابة، فأرسلها مثلا، فلما رجعا قال أبوه: فضحني ابنك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا، فقالت الأم: إنما ابني صبي، قال سهيل: أشبه امرؤ بعض بزه، فأرسلها مثلا.[مجمع الأمثال، للميداني، رقم: ١٧٧٣]

كما أن على المجتمع عدم المبالغة في نظرة الشفقة والرثاء عليهن والحرص على عدم التلفظ بأي عبارة من عبارات المواساة أمامهن حتى لا يحزن ولا يكتئبن كما أن على أفراد المجتمع الاهتمام بهن وذلك بإيجاد حلول لمشاكلهن فالنساء بصفة عامة يردن أن يرحمن غيرهن لا أن يرحمهن غيرهم ويزيد هذا الأمر عند العوانس فالمرأة بصفة عامة تميل إلى التزيد والمبالغة في الأمور فهي تريد أن تري غيرها أن لها فضلا عليهم لا أن لهم فضلا عليها فعلى أفراد المجتمع فهم حقيقة هذا الأمر وتتفاوت نظرات المجتمع نحو العانس ما بين الشفقة والرحمة المفرطة والشماتة والسخرية والسعي نحو حل مشاكلها والتخفيف من معاناتها دون جرح مشاعرها لأن الرحمة لا تفهمها كل النساء بل هي تريد أن ترحم لا أن تُرحم وبعض أفراد المجتمع ينظر إلى المتزوجات والعوانس من الثيبات [1] أنهن يمكنهن قضاء أوطارهن وأنه يمكنه مساعدتهن في هذا الأمر باعتباره دينا يمكن تقاضيه بينهما قال التبريزي: ورد أعرابي البصرة فحضر الجامع وسمع المؤذنين يؤذنون . فقال: ما لهؤلاء يصيحون: ولم يكن له بالأذان عهد. فقال بعض المجان: كل من كان في قلبه شئ وصعد وباح بما في قلبه أعطي مناه فقال الأعرابي : إني والله صاعد إذا. فقال الماجن لنقيب المؤذنين : هذا أعرابي جيد الأذان يريد أن يؤذن. فقال : ليصعد. فصعد وكان جهير الصوت ورفع صوته بهذه الأبيات:

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت ... على عزب حتى يكون له أهل

فإنا سنجزيها بما فعلت بنا ... إذا ما تزوجنا وليس لها بعل

---

[1] كالنساء المطلقات والأرامل والمعلقات والمغيبات.

أفيضوا على عزابكم من نسائكم فما في كتاب الله أن يحرم الفضل

فعدا الناس إليه فطرحوه من المنارة فهلك. فسُمع بعض نساء البصرة تقول: رحم الله ذلك المؤذن ما كان أطيب أذانه.[١]

٥ـ نشوء أمراض الحسد والبغض :

الحسد صفة ملازمة لليهود لعنهم الله، قال الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٢] وهو صفة مذمومة ومرض عضال وداء لا دواء له إلا تركه ، وله أسباب وظواهر بسطنا الحديث عنها في كتابنا الخلافات بين الأقارب فليراجع في موضعه. والحسد لا ينشأ إلا مع ظهور نعمة على أحد الأفراد ـــ وبخاصة اللصيقين بهم من الأقارب والمعارف من الجيران والزملاء ونحوهم ، والحسد تذكيه الغيرة وتزيد من أواره ، فالنساء المتزوجات يواجهن بشدة الغيرة من النساء غير المتزوجات فالفتاة العانس قد تحسد غيرها من لداتها ونظائرها اللاتي ساعفهن الحظ فتزوجن وسعدن مع أزواجهن[٣] رغم أنهن دونها في كل شيء من جمال وعلم ونحوه من مشوقات الرجال نحو النساء ولكن عمى الرجال لا حدود له فهم قد فضلوا هذا القبيحة الجاهلة عليها كما أنه قد تحسد الفتاة العانس أختها على زوجها وأطفالها[٤] أو قد يذهب بها الرأي والفكر أن تحسد أمها على أبيها لا طمعا

---

[١] شرح ديوان حماسة أبي تمام ج٢ص١٢١٠/ شرح التبريزي ج٤ص١٦٥

[٢] سورة النساء آية ٥٤

[٣] ليست هذه ظواهر مطردة عند كل النساء ولكن قد تحدث ولذا تناولناها بحديثنا.

[٤] انظر قصة رقم : ١٥ ـ **العنوسة تولد الحقد من هذا الكتاب.**

في أن يتزوجها أبوها ولكن مجرد تساؤلات لماذا ؟ أمها منعمة ولها زوج وهي فارغ خلية عنه كما أن أهل الفتاة العانس يحسدون الأسر التي نفقت بناتهم وتزوجن والفتاة العانس في غمرة حسدها ونشوة غضبها تنسى محاسن كل النساء المتزوجات وتتمثل أما ناظريها مساوئهن كما أنها تتذكر محاسنها وتنسى أو تتناسى مساوئها بل تحول هذه المساوئ إلى حسنات.

والبغض والكره للمحسود نتيجة حتمية للحسد فهي تبغضهن وتتربص بهن الدوائر عليها دائرة السوء ومن ثم تنتقصهن وتسعى جاهدة لانتقاص أقدارهن والتقليل من شأنهن والغض منهن ورميهن بكل سوء وباطل واختلاق الأكاذيب وائفتاك الباطل وافتعال الأراجيف فتشيع مثلا : أن عمرا قد تزوج خالدة لأنه كان بينهما ما كان ممن لست أذكره من الشر والفساد فخالدة قد فرطت في نفسها ومكنت عمرا من النيل منها لأنه كان قد وعدها بالزواج منها ومناها الارتباط بها وكان رجلا شهما فوفى لها بذلك . كما أن الحسد يولد الحقد وحب الانتقام الذي يدفع العانس للتفكير في إلحاق الأذى بغيرها من المتزوجات والإيقاع والإضرار بهن. [1]

٦ـ الانتحار:

عندما تعرف العانس أن قطار الزواج قد فات وأن الركب قد ارتحل وأن المطايا قد سرت وأنه قد انفض سامر زواجها لأفول العمر ولارجحان الشباب و بدء ابيضاض الشعيرات والذوائب التي لم تخفها الحناء ولا الأصباغ التي أخذت من هذه العانس وقتا وجهدا ومالا كما أن الشيطان يحزنها ويلقي في روعها أن الراغبين في الزواج لم يتركوها إلا لأنهم يرونها أنه قد نيل منها وأنها قد فرطت في نفسها ، ولذلك تركوها وزهدوا فيها

---

[1] انظر قصة رقم : ٣ ـ **أحزان خلف الجدران: وقصة رقم** : ١٥ ـ **العنوسة تولد الحقد من هذا الكتاب.**

وأحجموا عن التقدم إليها فانظري إلى فلانة ويذكرها بواحدة متزوجة غايـــة في القـــبح والدمامة ويلقي عليها تساؤلات : كيف أنها قد تزوجت رغم قبحها ؟ وما الدافع لهـــذا الزواج سوى أن المتقدم لها يظن فيها العفة فقط لا غير . فتفكر المسكينة في إنهاء حياتهـــا وتبادر الله عز وجل بنفسها فتجأ نفسها بسكين أو نحوها أو تحتسي صبغا قاتلا أو تصعق نفسها بالكهرباء ، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [١] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّـــدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِـــدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا. [٢]

وتنسى هذه المسكينة في غمرة هذه الأفكار السوداء أن الـــزواج مقســـوم وأن عدمه مصيبة من المصائب التي يجب الصبر عليها والاسترجاع فيها فالقدر يمضي على مـــا أرضانا وما أمضنا فعلينا الصبر حتى ينال العبد الثواب والأجر الجزيل.

---

[١] سورة النساء آية ٢٩

[٢] صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، حـــديث رقم: ٥٣٣٣ / صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حـــديث رقـــم: ١٥٨

٧ـ الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس :

أ ـ الإغراق في الأماني: [١]

الإغراق في الأماني صفة ملازمة للعجز والجهل[٢] وبعضها جيد، وبعضها من الإفلاس، قال الشاعر:

إذا تمنيت مالا بت مغتبطا إن المنى رؤوس أموال المفاليس

لولا المنى مت من هم ومن حزن إذا تذكرت ما في داخل الكيس[٣]

وكل أمنية تعكس ما يدور بخلد صاحبها وما يجيش بخاطره، وما يعتمل في ذهنه، فأمنية الداعية المسلم أن يخرج داعية يحمل مقود النور ومشعل الفضيلة بلسان وبيان، فداعية مثل عمر بن الخطاب يتمنى دعاة مثله: فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. قال: تمنوا فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبا فأنفقه في سبيل الله. قال: تمنوا قال آخر : أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرا أو نحوه فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تنموا فقالوا: ما تمنينا بعد هذا. قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة، قال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قسمه. ثم

---

[١] التَّمَنِّي: تَشَهِّي حُصُولِ الأمْرِ المَرْغُوبِ فيه، وحديث النَّفْس بما يكون وما لا يكون. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {منا}]

[٢] قال ابن زياد: ثلاث من علامات الجاهل: الإغراب في الضحك، وكثرة الالتفات، والإغراق في الأماني.

[٣] الإدارة في التراث الإسلامي، ص ٣٦٩

بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقسمه. ثم بعث بمال يعني إلى أبي عبيدة قال: انظر ما يصنع، فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.[١]

وكل امرئ أمانيه تليق بمعاليه ومكانته فأمنية المحدث عكسها الإمام أحمد الذي قيل له: ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا وبيتا خاليا، وقيل لبعض الوراقين: ما تتمنى؟ قال: قلما مشاقا، وحبرا براقا، وجلدا وأوراقا.[٢]

كما أن أمنية التاجر أو التويجر هي اتساع تجارته وكثرة أمواله : يحكى أن رجلا كانت له بقرة فحلب لبنها ومخضه واستخرج منه سمنا ، ثم أخذه إلى السوق يريد بيعه، وجلس منتظرا زبونا لشراء زجاجة السمن التي أمامه، فسرح في أفكاره وتخيل أنه قد باع هذه الزجاجة واشترى بثمنها بقرة أخرى فزاد لبنه وزاد مبيع زجاجات السمن، وتزوج امرأة وأنجب منها ولدا وأمر هذا الولد بأمر من أمور الحياة العادية فخالفه ولم يسمع كلامه، فما كان منه إلا أن ضربه بعصاه ضربة أحسنت أدبه، ورفع العصا وضرب الزجاجة التي أمامه وأراق السمن.

كما أن أمنية الأب أن يزوج بناته إن كان له بنات وأن يأتي خطاب لهن فيشترط عليهم ما يشاء متمنيا نفاق سوق بناته وقيامها، فيرفض منهم من يشاء ، ويشترط على من يوافق عليه منهم ما يشاء ، قال أحدهم يزفن[٣] ابنته متمنيا لها أن تصبح شابة جميلة تتبرقع ويجيئها خطابها فقال:

---

[١] التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص ١٠٢/ سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٤

[٢] معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٤١

[٣] التزفين : هو ضرب من الحركة مع صوت

يا ليتها قد لبست وصواصا[١] وعلقت حاجبها تنماصا[٢]

حتى يجيئوا عصبا حراصا ويرقصوا من حولنا إرقاصا

فيجدوني عكرا حياصا[٣]

كما أن الجائع أمنيته أن يسهل الله عز وجل له لقمة يسد بها رمقه أو أكلة هنيئة مريئة وأن يسهل له أبوابها وسبل الوصول إليها: قال الشيباني: أن أعرابيا قال: كنت أشتهي ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص، ذات حفافين من اللحم، لها جناحان من العُراق ، أضرب فيها كما يضرب ولى السوء في مال اليتيم.[٤]

وأمنية المجاهد أن ينتصر في جهاده على عدوه ، وأن ينال الشهادة وأن يدخل الجنة، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عندما قال له الناس: ردك الله إلى أهلك سالما:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا[٥]

---

[١] الوصاوص : البرقع

[٢] النمص: ترقيق شعر الحاجبين أو نتف شعر الوجه

[٣] حاص: فر / أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي تأليف أحمد أبو سعد دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، كانون الثاني ١٩٨٢ص ٩٩

[٤] نوادر الظرفاء والقصص عند العرب، نديم كامل ص١٤٨

[٥] البداية والنهاية لابن كثير مجلد٢ ج٤ص٢٤٢

وأمنية الطالب النجاح في دراسته ، وتحقيق وظيفة تسره مستقبلا قال أحد الأطفال عاكسا هذه الأمنية:

إنني طفل صغير اتخذت العلم نورا ... يا ترى ماذا أصير عندما أغدو كبيرا
هل ترى أغدو طبيبا أو وزيرا ... أو أغدو زعيما أو صحفيا شهيرا
سوف أسعى غير وَانٍ أطلب العلم الكثيرا ... راجيا نيل الأماني عندما أغدو كبيرا

وأمنية العاشق التمكن من معشوقته والخلوة بها ، قال كثير عزة متمنيا له ولعزة أن يمسخا بعيرين حتى يخلوا وحدهما أطول مدة :

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة ... بعيران نرعى في الخلاء ونعزب[1]
كلانا به عر فمن يرنا يقل ... على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلا صاح أهله ... علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت وبيت الله أنك بكرة ... هِجان وأني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

واعترض عمر بن أبي ربيعة ونصيب والأحوص، على كثير في أبياته هذه وقال له عمر: ويلك تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والطرد والمسخ فأي مكروه لم تتمن لها ولنفسك! ولقد أصابها منك قول الأول : معاداة عاقل خير من مودة أحمق.[2]

والعانس تبني قصورا من الرمال في خيالها ثم تعود فتهدمها وتنشئها بناء آخر، وتنسج أحاديث على منوال هذه الأماني، بأنها قد تزوجت وأنها قد سعدت في حياتها وأنها قد أنجبت طفلا أسمته زيدا أو عمرا أو غيرهما من الأسماء التي تجود بها قريحتها وتسعفها بها

---

[1] نعزب : نبعد. ومنه الأعزب أي البعيد عن النساء.

[2] قصص العرب ج ٣ ص ١٩٥

مخيلتها، وأن هذا الطفل قد ناغته وأرضعته وذهبت به إلى دار الحضانة، ورياض الأطفال وأدخلته المدرسة، وترعرع ونشأ وبلغ مبلغ الصبيان ثم التحق بالمدرسة الثانوية.

يحكى أن فتاة كانت تركب مركبة عامة تسافر بين المدن، فوقع مقعدها مجاورا لشاب وسيم، وكانت البنت عانسا، وبطول ساعات السفر نامت على مقعدها، وتخيلت الفتاة أن هذا الشاب قد تقدم لخطبتها، ووافق أبوها عليه، وتم تحديد يوم العقد [1] وبدءوا التجهيزات للزواج، وجاء اليوم المحدد للزواج وتوافد الناس، وأولم أبوها عليها وليمة كبيرة، وأطعموا المدعوين، وفي هذا الأثناء انفجر إطار السيارة انفجارا مدويا، فاستيقظت الفتاة وصاحت: هل تم العقد ؟ أي عقد الزواج . وظنت أن هذا الانفجار عيار ناري أطلق بهذا السبب ، لأن الناس في الزواج عادة يطلقون الأعيرة النارية.

ب ـ الإسقاط عما في دواخل النفس:

تخرج عن الإنسان بصفة عامة كلمات وعبارات، توحي بما يجيش في صدره، وما تخفيه مكنونات نفسه، وما يسبب له شغلا وهاجسا، فمن خلال هذه الكلمات المنفلتة، والعبارات الصادرة، تستطيع أن تكون فكرة عن ما يشغل بال هذا الشخص.

والعانس جزء من مجتمع الناس، وعنوستها تشكل لها مشكلة كبرى تتأثر بها أطراف أخرى، من والدين وإخوان، وأخوات متزوجات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، وغيرهم.ولنأخذ مثالا واحدا لعبارات تخرج من العوانس، وهي أغاني البنات، التي كانت قبل العنوسة في شكل والآن بعد طوفان العنوسة أخذت شكلا آخر، ولا نريد أن نتطرق للأغاني من حيث مشروعيتها أو عدمه . فحكمها معروف فهي حرام لقول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

---

[1] أي عقد النكاح.

وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[١] أما الغناء بالدف للجواري في الأعراس فهو مباح لم يخالف فيه أحد من الناس وقد كان يمارس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع مراعاة عدم اختلاط الجنسين، و عدم احتوائه على ما يخالف الشريعة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ما يخالف فيها من مخالفة : فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ:

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ.[٢]

وأغاني البنات في الأعراس في القديم كانت تدور غالبا حول ما بذله الزوج من جهاز لزوجته وما سيقوم به من تجهيزات، كما قالت إحدى نساء الأنصار تصف ما أحضر زوج امرأة عروس: فعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنساء من الأنصار في عرس لهن وهن يغنين:

وأهدى لها أكبشا تبحبح[٣] في المربد[٤]

---

[١] سورة لقمان آية ٦

[٢] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ضرب الدف في النكاح والوليمة، حديث رقم : ٤٧٥٠/ سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء، حديث رقم: ٤٢٧٦/ سنن الترمذي، كتاب: النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إعلان النكاح، حديث رقم: ١٠١٠

[٣] تُبَحْبِح في المِرْبَد: أي مُتمَكِّنة في المِرْبد وهو الموضع.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {بحبح} / لسان العرب، مادة: بحح]

[٤] المعجم الصغير، ج ١ ص ٢١٤، حديث رقم: ٣٤٣

أي أنها تمجد الزوج وأن زوجته قد فازت ببغيتها فعليها أن تحمد الله وتشكره على ما أولاها من نعم ، وعلى بقية البنات أن لا يحسدنها لما فازت به من زوج كما أنها لا تنسى وصف الزوجة بأنها على درجة من الجمال وأن زوجها قد فاز بما لم يفز به غيره من جمال وأدب وصفات كثيرة يحبذها الرجال الراغبون في الزواج وعند ساعة زفاف العروس [١] لزوجها تجلس مجموعة من الفتيات اللاتي يكن غالبا غير متزوجات ويتغنين ببعض الأغاني، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنْ الْأَنْصَارِ [٢] فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَهْدَيْتُمْ [٣] الْفَتَاةَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ أَرْسَلْتُمْ مَعَهَا مَنْ يُغَنِّي قَالَتْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ فَلَوْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ

---

[١] عرس الرجل امرأته وهو أيضا عرسها ولا يقال للزوجين عروسين إلا أيام البناء واتخاذ العرس. والمرأة تسمى عرس الرجل في كل وقت.

[٢] هي: فارعة بنت أبي أمامة أسعد بن زرارة الأنصارية، قال أبو عمر كان أبو أمامة أوصى ببناته فارعة وحبيبة وكبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزوج النبي صلى الله عليه وسلم الفارعة نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار. وقال بن سعد أمها عميرة بنت سهل وكانت الفريعة أكبر بنات أسعد بن زرارة فلما بلغت خطبها نبيط بن جابر فلما كانت الليلة التي زفت فيها قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم فولدت لنبيط عبد الملك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرك فيه وكانت الفريعة من المبايعات. [الإصابة لابن حجر، ترجمة: ١١٥٧٣]

[٣] قال السندي: قوله (أهديتم الفتاة) أي أرسلتموها إلى بيت بعلها، والغزل بفتحتين اسم من المغازلة بمعنى محادثة النساء ومثلهم لا يخلو عن حب التغني (فحيانا وحياكم) قيل وآخره لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم. (شرح سنن ابن ماجة للسندي: ج ٢ ص ٤٣٩)

لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم[1]

ويكون هذا الاجتماع غالبا خلوا من الرجال عدا الزوج الذي أحضر لحلوة العروس ويتغنين بمجموعة أغاني بعضها مما ذكرناه آنفا من إضفاء صفات تمجيد وثناء على الزوجين وما نالتهن من فرحة بعقد هذا الزواج المبارك الميمون متمنيات لهما حياة زوجية سعيدة. وأن يغلبها الزوج بالمال وتغلبه الزوجة بالعيال.

وفي السودان لو أخذناه مثلا ويمكنك قياس أكثر البلاد الإسلامية عليه للتشابه في معظمها، كانت أغاني البنات في الماضي القريب تدور حول الحرية المتوفرة للفتاة في الاختيار الواسع للزوج فهي لا تريد شريك حياتها أن يكون من أبناء عمها وتدعو لابن عمها أن يصيبه الغم، ولا أن يكون ابن خالها داعية الله له أن يخلخل حاله وأن يكثر بلباله، ولا أن يكون جارا ولا قريبا من الأهل والعشيرة، ولا أن يكون أصلع ولا شيخا كبيرا سواء أكان قريبا لها أم بعيدا عنها داعية الله عز وجل أن يحول بينها وبين الشيوخ

---

[1] سنن ابن ماجة : كتاب النكاح، باب: الغناء والدف، حديث رقم : ١٨٩٠

وعن عبد الرحمن بن نبيط عن أبيه هو نبيط بن جابر عن جدته أم نبيط قالت أهدينا جارية لنا من بني النجار إلى زوجها فكنت مع نسوة من بني النجار ومعي دف أضرب به وأنا أقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

قالت فوقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أم نبيط فقلت بأبي أنت وأمي يا نبي الله جارية منا من بني النجار نهديها إلى زوجها قالت فتقولين ماذا قالت فأعدت عليه قولي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي

لولا الحنطة السمراء ما سمن عذاريكم

[الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١٢٢٧٩]

المتصابين الناهضين كالفروخ المتقدمين للفتيات اللاتي هن في عمر الزهور وأن يصيبهم العمى من جراء آلة حادة تدخل في أعينهم فتذهب بضوئها ولا تنسى أن تذكر صفات زوجها المرتقب، وفارس أحلامها المنتظر، فشريك الحياة المتقدم لهن يجب أن يكون مغتربا أو تاجرا من تجار الغرب [1] أو أن يكون زوجها المرتقب من هيئة التدريس في الجامعات وأن يكون وسيما جميلا ينتقي ملابسة انتقاء وأنه كان من المبتعثين إلى البلاد الأوربية وبخاصة فرنسا عاصمة الرقي والجمال وأن يكون بالتحديد قادما من عاصمتها باريس، كما أن الفتاة لا تنسى أن تشمت بالعازبين وأنهم سيموتون كمدا وحسرة، وأن الهم والغم سيلازمانهم، وأن الكرب والحزن سيحالفانهم لأنهم لم ولن يظفروا بها ، هكذا كانت تدور أغاني البنات عندما كانت سوقهن قائمة، وكان التهافت عليهن كبيرا ، وكان الإقبال عليهن متتاليا ، وعندما تبدلت الحال، بعوامل عدة ككثرة البنات المطردة ، وفتح أبواب الفواحش على مصراعيها في بعض بلدان المسلمين علانية أو عن طريق الاختلاط في الجامعات والمعاهد العليا، والزواج من الأجنبيات والظروف الاقتصادية لبعض الأزواج والمغالاة في المهور، صارت العنوسة مشكلة تعاني منها المجتمعات فانعكس ذلك على أغاني البنات فصارت توجد مجموعة أخرى من أغاني البنات في الأعراس تعكس لنا ما تعانيه هؤلاء الفتيات من صراعات وما يكتنفهن من عنوسة أحسسن بها فأسقطن عما في أنفسهن مما صار هاجسا وشبحا يترآى لهن في حلهن وترحالهن ويقظتهن ومنامهن ومن ثم تغيرت أغاني البنات في الأعراس وبدأ التحول التدريجي في الأغاني بفعل العنوسة فصارت أغانيهن اللاتي كن يطلبن فيهن ما ذكرناه آنفا من مغترب أو تاجر أو أستاذ

---

[1] أي مغتربا في إحدى دول النفط كالسعودية ودول الخليج. أو تاجرا من تجار غرب السودان وهم أصحاب أبقار وتجارات واسعة.

جامعي بالتنازل عن هذه الطلبات وعدم الاشتطاط في الاشتراطات، فتنازلن عن اشتراط المال، إلى الرضا بأدنى المستويات ليست الوظيفية بل العمالية ومن أقل الوظائف العمالية وأخسها وهي وظيفة صاحب عربة الكارو وهي العربة التي تجرها الحيوانات كالخيل والحمير وتطلب منه أن يتقدم لخطبتها بما عنده وذلك في حوار طويل وأنه إن لم يكن عنده شيء فإن أباها سيتكفل بكل شيء حتى وإن لم تكن عنده ملابس فسيلبس من ملابس والدها مع أشياء كثيرة من هذا الضرب.ويصور لنا مقطع آخر من أغاني البنات قول واحدة : أنها ملت من جلوسها في البيت من غير زواج ، وتدعو أحد الصالحين الأموات وتسميه باسمه وتسأله مستغيثة به أن ييسر لها زوجا [1] وسترضى من هذا الشيخ بما سيعطيه لها حتى وإن كان زوجا له امرأة بل حتى ولو كان زوج أختها مما يعني أنها إن كانت تعي ما تقول شيئين لا ثالث لهما :

ـــ أن تتمنى موت أختها وأن تخلفها في مكانها.

ـــ أن يجمع زوج أختها بينها وبين أختها في غمد واحد.

وهي تعلم تمام العلم أن زوج أختها لن يطلق أختها ـــ حتى ولو أراد ذلك وكانت له الرغبة الملحة فيها ـــ ويتزوجها لأن المجتمع لا يوافق على ذلك وينكره، أما والداها فموافقتهم دونها خرط القتاد، لأنهما لا يريدان استفحال [2] هذا الزوج وأن

---

[1] هذا الأمر من الشرك الأكبر لأنه دعاء لغير الله تعالى.

[2] الاستفحال الإتيان بفحل للمرأة، قال الفيروز آبادي : الاسْتِفْحالُ: ما يَفْعَلُهُ أعْلاجُ كابُلَ إذا رأوا رجُلاً جَسيماً من العَرَبِ خَلَوْا بينه وبين نسائِهِم لِيُولَدَ فيهم مثلُهُ. [القاموس المحيط باب اللام. فَصْلُ الفَاء]

يطلق هذه ويتزوج تلك بل المتبادر إلى الذهن أن تموت أختها فتخلفها هي في مكانها عند زوجها. ولكن يلتمس لهؤلاء الفتيات عذرا أنهن يتفوهن بما لا يعين. [١]

٨ـ الخداع والتغرير وإخفاء العمر الحقيقي:

من الجدير بالذكر أن الإنسان بصفة عامة يرغب في أن يصغّر عمره والمرأة أشد رغبة في ذلك فهي قد تكون أكبر من عجوز بني إسرائيل[٢] وتوهم نفسها وتري غيرها أنها شابة يافعة في مقتبل العمر وأنها غضة في عمر الزهور وأنها أمنية المتمني وأن ابيضاض شعرها واشمطاط فرقها رغوة من رغوات الشباب، وقد تستشهد بقول ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النور في القضيب الرطيب[٣]

وتعطيك درسا في الشيب وظهوره المبكر في الرأس فتفدك علما عليك أن تقيده بقيد وإلا فر منك بنسيانه ، فالشيب له عوامل ومسببات عدة منها:

ـــ الخوف وهي قد خافت بما فيه الكفاية فحياتها كلها خوف والتياع وأسى.

ـــ والانشغال وهي لم تفرغ ذهنيا ولا بدنيا يوما ما فكل الدهر انشغال وتفكير.

ـــ كما أن من عوامل الشيب المصائب وهي كل مصائب الدنيا ومشاكلها قد اجتمعت عليها وتكالبت على ظهرها.

ـــ كما أن من أسباب الشيب الهموم وهي قد لزمتها الهموم والغموم وأحالت حالها إلى ما ترى من شيب فشيبها حقيقة ليس من سنين تتابعت عليها ولكن شيبتها المصائب والملمات، قال الشاعر:

---

[١] راجع : موقع النيلين، سوادنيات، مقال بعنوان: أغاني البنات.

[٢] قيل: أكبر من عجوز بني إسرائيل، وهي شارخ بنت يسير بن يعقوب، كانت لها مائتا سنة وعشر سنين ، فلما مضت لها سبعون عادت شابة. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٥٠]

[٣] ثمار القلوب للثعالبي ج ١ ص ٤٩٢

وما شاب رأسي من سنين تتابعت عليّ ولكـن شيبتني الوقائع[١]

وما أكثر الوقائع والملمات والأحداث التي أصابتها والتي لو نزلت بصم الجبال لصدعتها ولو نزلت بأشاوس الرجال لحنت ظهورهم وألانت عمودهم ولكنها لصلب عودها وقوة صبرها وشدة شكيمتها شابت شعيرات رأسها هذا الشيب الخفيف الذي تراه ، وتجعد وجهها هذه التجعدات الطفيفة، وأدوات التجميل كفيلة بإزالتها.

ـ كما أن من أسباب الشيب تقدم العمر وتتابع السنين كما هو معروف ومتبادر إلى الأذهان لرؤية شيب على الرؤوس من أول وهلة، قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾[٢]

كما أن المرأة التي خالط رأسها شيب تود لو انتشر هذا الشيب في رؤوس غيرها من لداتها وبنات جنسها، أنشد ابن الأعرابي على لسان امرأة مستنكرة مشيب رأسها دون غيرها من أترابها، وأن رغبتها ومناها أن يأتي الشيب لكل النساء فقال:

عَلامَ بَنَتْ أُخْتُ اليَرابِيعِ بَيْتَها عَلَيَّ، وقالَتْ لي: بِلَيْلٍ تَعَمَّمِ؟

معناه أنها لما رأت الشيبَ قالت لا تأْتنا خِلْماً ولكن ائتنا عَمّاً.[٣]

والنساء غالبا يخفين أعمارهن الحقيقية ولا يخبرن بها أحدا ولذلك فالمرأة لا تحتمل أن يسألها أحد من الناس عن عمرها ، وهي تستخدم الحناء لخضاب الرأس هذا إن لم

---

(١) الإدارة في التراث الإسلامي، ص ١٠٦

(٢) سورة الروم آية ٥٤

(٣) لسان العرب ، مادة : عمم

تستعمل الأصباغ السوداء كما أنها تستعمل كريمات لإزالة النمش والكلف من الوجه هذا إن لم تذهب إلى طبيبة التجميل لشد بعض أجزاء جسمها كما أنها تحرص على استخدام الأحزمة لشد البطن خوفا من بروزه وظهوره ورجاء أن تكون هيفاء[1] ضامرة وقد صور لنا أحد شعراء الأعراب ـــ وهو ابن أبي الزوائد الأعرابي ـــ امرأة قابلها فظنها على مسحة من جمال وعلى درجة من ملاحة وأنها شابة يافعة لأنه رأى خضابها فظنه مؤشرا لكثرة خطابها فدفعه هذا لخطبتها فوافقت فتزوجها وطلب تعجيل دخولها عليه فدخل بها فوجدها عجوزا قد مضى منها وأدبر زمانها وأفل عمرها وارجحن شبابها، ونصل خضابها وتخلعت أسنانها وكان الذي خدعته المظاهر ودلس عليه أمرها خضابها وفي حقيقة الأمر أن هذا الخضاب تصاب منها فقال مصورا هذا المشهد :

عجوز ترجي أن تكون فتية ... وقد لحب الجنبان وأحدودب الظهر
تدس إلى العطار ميرة أهلها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
وما راعني إلا خضاب بكفها ... وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وزوجتها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر[2]

وكما أن المظاهر تخدع الرجال فكذلك تخدع النساء فقد ترى المرأة رجلا ملابسه جيدة ومظهره يوحي بغناه، فتمني نفسها بالتعرف عليه والقرب منه، والزواج به، وعندما تتحقق أمنيتها تجد الأمر خلاف

---

[1] الهَيفُ بفتحتين ضمر البطن والخاصرة ورجل أَهْيَفُ وامرأة هَيْفَاءُ وقوم هِيفٌ وفرس هَيْفَاءُ ضامرة. [مختار الصحاح للرازي، باب الهاء مادة: هيف]

[2] الأضداد لابن الأنباري ص ١٥٤ ، أمالي ابن دريد ٢١٠

مـــــــــا ظنـــت والـــــــواقـــــــع غـــير مـــــا أملـــــــــت.[1]

وليس من الحكمة واللباقة سؤال أحد من الناس عن عمره كما أنه لـيس مـن الحصافة للرجال والنساء على السواء الإخبار بأعمارهم ابتداء من غير سؤال كما قـال الشافعي رحمه الله تعالى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنـه إن كـان صـغيرا استحقروه، وإن كان كبيرا استهرموه [2] كما أنه يمكن للإنسان أن يستعمل التوريـة والمعاريض إن كان لا يريد ذكر عمره الحقيقي.

وقد تلجأ كثير من النساء التي تخفق في التورية للكذب والخداع الذي ينتج عنه الشعور بالذنب أو موت القلب عند إدمان الكذب.

٩ـ الذهاب إلى الكهنة والعرافين:

قال ابن منظور: يقال للحازي عراف، وللقنان عراف، وللطبيب عراف، لمعرفـة كل منهم بعلمه، والعراف الكاهن. قال عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن أبرأتنـي لطبيب

وفي الحديث: من أتى عرافا أو كاهنا، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أراد بالعراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.[3]

---

[1] قيل: غَرَّني بُرْداكَ من خَدافلي": الخَدافِلُ: المَعاوِزُ، بلا واحد. يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ شَيْئَهُ طَمَعاً في شيءٍ غَيْرِه، قالَتْه امرأةٌ رأتْ على رجُلٍ بُرْدَيْنِ، فَتَزَوَّجَتْهُ طامعَةً في يَساره، فأَلْفَتْه مُعْسِراً. [القاموس المحيط، باب اللام. فَصْلُ الخَاء. / لسان العرب، مادة : خذفل]

[2] مختصر صفوة الصفوة ص ٢٠٧

[3] لسان العرب ج ٤ ص ٢٨٩٨

والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعى معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب.[١]

يزداد انتشار العقائد الفاسدة في المصائب والملمات من فقر ومرض ومدلهمات وينتشر الكهنة والعرافون في عصرنا الحالي انتشارا واسعا ومعظم آميهم وقاصديهم من النساء، وهن يأتين لهؤلاء الدجالين في الغالب للأسباب الآتية:

— بعض النساء اللاتي فاتهن قطار الزواج والراغبات فيه، لأنهن خليات عن الأزواج وقد أقضت العنوسة مضجعهن، وأرقت لياليهن وأطالتها.

— وبعضهن ظفرت بزوج فهي تريد تقييده وربطه والاستئثار به وحدها حتى لا يلتفت إلى غيرها ولا يفكر في سواها ولا يرتبط بشيء دونها.[٢]

— وبعضهن عقيم لا تنجب فهي تريد من الدجاجلة أن يهبوا لها غلاما زكيا تقر به عينها وتداعبه وتشغل به فراغها القاتل.

— وبعضهن يعانين من خلافات ومشاكل مع أزواجهن فهن مهانات مسبوبات مشتومات إن لم يكن مشجوجات مضروبات فهن يرغبن في إيقاف هذا النكد وفي حل هذه المشاكل ومن ثم العيش والتنعم مع أزواجهم في هناء ونعيم معززات مكرمات.

— وبعضهن متنعمات مع أزواجهم يخشين العين ويخفن الحسد ويوجلن من زوال هذه النعمة وتحولها ويحذرن فجاءة النغمة وتحول العافية فهن يردن من هذا الشيخ أن يكتب لهن شيئا تحافظ به إحداهن على نعمتها فما أكثر العوانس البائسات وجلهن من ذوات الحسد.

---

[١] كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٣٥

[٢] انظر تأخيذ الأزواج وتقييدهم في الخلافات بين الزوجين

فتريد من هذا الدجال أن يعمل لها شيئا يضمن لها استمرار الحياة على هذا النسق وتلك الوتيرة وأن يقيها العوارض والمحن ويدفع عنها الشرور والإحن.

ـ وبعضهن مغيبات طال غياب أزواجهن عنهن، فهن يردن عودتهم بأي طريقة، شرعية أو غيرها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به قالت عائشة رضي الله عنها لعروة يا بن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى أني لأرحمها تقول إني لأخاف أن أكون قد هلكت كان لي زوج ففاب عني فدخلت علي عجوز فشكوت إليها ذلك فقالت إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت وقلت : لا قالا فاذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم تفعل فرجعت إليهما فقالا فعلت فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئا قلت لم أر شيئا فقالا لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ثم ائتي فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعلي فارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس التابعين فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد قد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى فقالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا قالت بلى لن تريدي شيئا إلا كان خذي هذا القمح فابذري

فبذرت فقلت اطلعي فطلعت فقلت احقلي فأحقلت ثم قلت افركي فأفركت ثم قلت أيبسي فأيبست ثم قلت اطحني فأطحنت ثم قلت اخبزي فأخبزت فلما رأيت أني لا أريد شيئا إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك. [1]

والكاهن والعراف له معرفة بأحوال النساء من جراء طول تعامله معهن فيمكنه أن يذكر حقائق تعتمد على الاستنتاج وقوة القريحة فتظنها المرأة الهالكة في الشرك والضلالة ضربا من علم الغيب الذي استأثر الله عز وجل به وخص به نفسه وحجبه عن رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [2] وقال تعالى عن ملائكته نافيا عنهم علمهم الغيب ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا

---

[1] سنن البيهقي الكبرى ٨ ص ١٣٧ ، حديث رقم: ١٦٢٨٢/ المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ١٧١ ، حديث رقم: ٧٢٦٢

[2] سورة الأعراف آية ١٨٨

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [١] وقال تعالى عن جميع المخلوقات ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٢] وقال تعالى عن الجن خاصة ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [٣]

ولنضرب مثلا على ما نقول: قد تأتي مجموعة من النسوة إلى أحد الكهان، وتكون إحداهن عليها مظاهر الزواج من حناء وزينة وطيب خاص بالنساء المتزوجات، فتأتيه على هذه الحال فيخمن إما أن هذه المرأة تريد:

ـ أن تسعد مع زوجها

ـ أو أنها عقيم تريد ذرية طيبة.

وكأن تكون الأخرى مكورة البطن أو تحمل طفلا وتبدو كأنها قلقلة مشغولة فيستنتج أنها تعاني من مشاكل مع زوجها، فيجيبها بأنه بإمكانه استصلاح زوجها فتظن أنه يعلم الغيب لأنه بادرها بمشكلتها من قبل طرحها عليه وأنه لم يسألها عنها.

---

[١] سورة البقرة آية ٣٠ ـ ٣٣

[٢] سورة النمل آية ٦٥

[٣] سورة سبأ آية ١٤

وكأن تكون الثالثة سلتاء[1] اليدين، سفعاء الخدين، بادية الشحوب، ساهمة الفكر، فيعرف أن هذه عانس تريد زوجا، فيبادرها قائلا: سيأتيك زوج صفاته كذا وكذا، وتظن هذه البلهاء أن هذا الشيخ على شيء ولا تدري أنها ألقمته الحجة بحالتها التي يعرف منها أنها غير متزوجة أغبى أغبياء بني آدم وأنها راغبة في زوج لأن كل عانس ترغب في ذلك، ولم يأت هذا الكاهن الكاذب بجديد.

ومن مكر هؤلاء الكهنة أنهم إذا أعوزهم شيء من الأمور فإنهم يسألون هؤلاء النساء بعض الأسئلة التي يعرفون بها حقيقة أمرهن ثم يقول الكاهن لكل واحدة منهن: أنت كذا وكذا ويكون قد استنتج كلامه من إجابة إحداهن على أسئلته لها. فتظن كل واحدة منهن أنه يعلم الغيب وأنه يمكنه مساعدتها، ويعكس هؤلاء النسوة تجاربهن لأخواتهن فيرغبن فيما فعلن ومن ثم قد تلجأ غيرهن من العوانس للذهاب إلى هؤلاء الكهنة والعرافين ظنا منهن أن لهم يدا في تغيير واقعهن.

وقد حدثت قصة حقيقية لعروة بن حزام العذري حينما ذهب به أهله إلى أحد الكهنة والعرافين، وإليك القصة: قيل: إنه كان باليمامة عراف له قرين من الجن يعرفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كحلاء مولى لبني يشكر فحملوه إليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت إذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت

---

[1] السَّلْتاء من النساء: التي لا تَخْتَضِبُ. وسَلَتَ المرأةُ الخِضاب عن يَدها إذا مَسَحَتْهُ وأَلْقَتْه. [لسان العرب. مادة: سلت]

الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به وأن الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق.[١]

وقد صور عروة مشاهد ذهابه للعراف وما قال للعراف وما قاله له العراف، في قوله:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... ولعراف نجد إن هما شفياني
فقالا نعم تشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا ... ليستخبراني قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا سلوة[٢] إلا وقد سقياني
وما شفيا الداء الذي بي كله ... ولا ادخرا نصحا ولا ألواني
فقالا شفاك الله والله مالنا ... بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتي ... عن الرأس ما ألتاثها ببنان[٣]

وقد جاء النهي عن الذهاب إلى الكهنة والعرافين في أحاديث كثيرة نجتزئ منها بالآتي

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[١]

---

[١] تزيين الأسواق ص ٧١

[٢] السُّلْوَانَةُ بالضم خرزة بيضاء شفافة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا واسم ذلك الماء السُّلْوانُ بالضم أيضا وقيل السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو والأطباء يسمونه المفرح[مختار الصحاح للرازي باب السين، مادة: سلا/ (بلوغ الأرب ج ٣ ص ٥)]

[٣] تزيين الأسواق ص ٧٤

ـــ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام.[٢]

١٠ـ الوقوع في المخالفات الشرعية :

يستغل الشيطان حال العانس وما تكون فيه من حزن، فيوسوس ويزين لها أن السبب الذي جعلها عانسا هو تقوقعها في البيت ولزومها قعر بيتها حبيسة حيطان أربعة وأنها لا تبادر بالاختلاط بالشباب والتعرف عليهم بغية اصطياد واحد منهم فإن:

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور[٣]

ويزين لها الشيطان السير في هذا المضمار ويذكرها بأمثلة من فتيات كن أقل منها التزاما وجمالا ومنزلة ومكانة وساعفتهن الظروف وتزوجن ، فمثلا فلانة مع قبحها كانت كثيرة الخروج فظفرت بزوج، وأن فلانة كانت تراسل غيرها من الشبان وتكتب لهم الرسائل الغرامية وكانت تهاتف بعضهم وراسلها عدة من الشباب وهاتفها آخرون فاختارت منهم من أعجبها وتركت الباقين، وأن فلانة كانت كثيرة الاختلاط بالشباب فعرفتهم حق المعرفة وخبرتهم حق الخبرة مع ذلك لم يزهد فيها الزاهدون كما يوجع رأسنا كثير من الدعاة بقولهم: إن الفتاة كثيرة الاختلاط كثيرة الخروج يزهد فيها الخطاب ، بل الأعجب

---

[١] مسند الإمام أحمد، حديث رقم : ٩١٧١

[٢] سنن ابن ماجة: كتاب الطهارة وسننها، باب: النهي عن إتيان الحائض، حديث رقم : ٦٣١/ مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، حديث رقم : ٨٩٢٢/ سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب من أتى امرأته في دبرها، حديث رقم: ١١١٦

[٣] الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله بن مفلح المقدسي الحنبلي، طبع جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ج ١ ص ١٤٣

من ذلك أن فلانة كانت كثيرة الخروج وأنها فرطت في نفسها ونيل منها وتزوجت بعد ذلك.وتنسى هذه الفتاة في غمرة وساوس الشيطان العوانس اللاتي مثلها ومن هن أكثر منها التزاما وجلوسا في البيت بل وجمالا ومكانة ولم يتزوجن حتى الآن.فيزين لها الشيطان التبرج والسفور وإبداء الزينة والخروج والاختلاط بالرجال وكلها أمل ويحدوها شوق أن تظفر بواحد منهم.ويقودها الشيطان نحو خطواته خطوة خطوة فيزين لها النظر والاسترسال فيه ثم يقودها إلى الكلام مع الرجال ثم يتدرج بها إلى مصافحتهم ثم الجلوس معهم ثم إلى مراحل متقدمة بعد ذلك ، ثم بعد ذلك يبرأ منها ويزهد فيها أول من يزهد من صافحوها وجلسوا معها ونالوا منها قال الله تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

وسبب نزول الآية ما يلي:

قال وهب بن منبه: إن عابدا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكرا، ليست لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا عند من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها. قال فاجتمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن أختهم. قال فلم يزالوا به حتى أطمعهم فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا، ينزل إليها الطعام من صومعته، فيضعه عند باب

---

[1] سورة الحشر آية ١٦

الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها. قال: فلبث بذلك زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك؛ قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، قال: فلبثت بذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة. قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها، فلبثا زمانا يتحدثان، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل. قال: فلبثا زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها، ففعل. فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها. فلبثا بذلك حينا ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك. فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها نهاره كله، فإذا أمسى صعد في صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت له غلاما، فجاءه إبليس فقال له: أرأيت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك! كيف تصنع! لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك! فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على

ما صنعت بها، ففعل. فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنـها! خـذها فاذبحها وادفنها مع ابنها. فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفيرة مع ابنها، وأطبق عليها صخرة عظيمة، وسوى عليها التراب، وصعد في صومعته يتعبد فيها؛ فمكث بذلك مـا شاء الله أن يمكث؛ حتى قفل إخوتها من الغزو، فجاءوه فسألوه عنها فنعاها لهم وتـرحم عليها، وبكى لهم وقال: كانت خير أمة، وهذا قبرها فانظروا إليه. فأتى إخوتها القبر فبكوا على قبرها وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا إلى أهاليهم. فلمـا جـن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في صورة رجل مسافر، فبدأ بـأكبرهم فسأله عن أختهم؛ فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها؛ فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلامـا فذبحه وذبحها معه فزعا منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله. فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمـين مـن دخلـه فـإنكم ستجدونهما هنالك جميعا كما أخبرتكم. قال: وأتى الأوسط في منامه وقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لمـا رأى كـل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض، يقول كل واحد منهم: لقد رأيت عجبا، فـأخبر بعضهم بعضا بما رأى. قال أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا. قـال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان فأنظر فيه. قال: فانطلقوا جميعا حـتى دخلـوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما. فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته فقدموه ليصلب، فلما أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتنتك في المـرأة حـتى أحبلتها وذبحتها وذبحت ابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك

مما أنت فيه. قال: فكفر العابد بالله؛ فلما كفر خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه. قال: ففيه نزلت هذه الآية. [1]

وتلجأ بعض الفتيات وبخاصة العوانس منهن إلى إطالة الأظافر وطليها بالطلاء الثقيل التي يطلق عليه المنكير، وإطالة الأظافر مخالفة لصفات الجمال عند السابقين فعندما ذكر السابقون صفات الجمال التي يجب توفرها عند المرأة لم يذكروا الأظافر الطويلة ، وإنما ذكروا ليونة الأصابع ولطفها وأنه يمكن عقدها لمن أراد ذلك لأنها تشبه العنم، [2] في رقتها ولينها، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ، كأنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ على أَغصانه لم يَعْقِدِ[3]

فالأظافر الطويلة من صفات القطط والكلاب والسباع، التي تذم بالتشبيه بها الفتاة المسترجلة، وليست من صفات الظباء التي تشبه بها الحسناء من الفتيات، وقد أحسن من قال:

قل للمليحة أرسلت أظفارها إني لخوف كدت أمضي هاربا

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي. انظر: تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، حديث رقم: ٣ / كنز العمال، حديث رقم: ١٧١٠

[2] العَنَمُ: شجر لَيِّنُ الأَغصانُ لَطِيفُها يُشَبَّهُ به البَنان كأنه بَنان العَذارى، واحدتها عَنَمةٌ، وهو مما يستاك به، وقيل: العَنَمُ أَغصان تنبت في سُوق العِضاه رطبة لا تشبه سائر أَغصانها حُمْرُ اللون، وقيل: هو ضرب من الشجر له نَوْرٌ أَحمر تشبَّه به الأَصابع المخضوبة.قال ابن الأَعرابي: العَنَم شجرة حجازية، لها ثمرة حمْراء يُشَبَّه بها البَنان المخضوب.[لسان العرب مادة : عنم]

[3] لسان العرب مادة : عنم

إن المخالب للوحوش نخالها فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة ونقلت عن وجه الطبيعة حاجبا
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفا وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علّم الحسناء أن جمالها في أن تخالف خلقها وتجانبا
إن الجمال في الطبيعة رسمه إن شذ خط منه لم يك صائبا

فكون الفتاة ترسل أظفارها حتى تكون شبيهة بالمخالب فهذا يخالف مزايا الجمال عند العرب وصفاته كما أنه مخالف لسنن الفطرة : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْآبَاطِ. [1]

وقد تلجأ بعض الفتيات العوانس وغيرهن إلى تقصير طول الثياب وتضييق أحجامها، ولله در من قال:

أفوق الركبتين تشمرينا بربك أي نهر تعبرينا
جعلت ملابسي صوفا طوالا أخاف البرد يجعلني طعينا
وأنت هنيئة في شبه عري بجو بارد لا تشعرينا
عيون المعجبين لديك جمر ستشتعل إن أردت هوى دفينا
فتاة الجيل مثلك لا يجارى سفيهات يبعن تقى ودينا

فيا أيتها العانس لا يخدعنك الشيطان فيزين لك اتباع خطواته ممنيك بالظفر بزوج ومن ثم يتخلى عنك.

---

[1] صحيح البخاري: كتاب اللباس ، باب : تقليم الأظافر ، حديث رقم: ٥٤٤١/ صحيح مسلم: كتاب الطهارة باب: خِصَالِ الْفِطْرَةِ، حديث رقم: ٣٧٧

ولتعلم الفتاة تمام العلم ولتعي كل الوعي أن الذي يريد أن يتزوج لا يتزوج فتاة خرج معها أو فجر بها كما أنه لا يتزوج فتاة كثيرة الدخول والخروج والتبرج بل يتزوج فتاة مؤدبة قاصرة الطرف حيية الطرف ملازمة للبيت متسترة.

١١ـ الشرود الذهني وإدمان الفكر:

قد يكون الزواج شغل العانس الشاغل فهي تفكر فيه في يقظتها وتتـرآى لهـا زوجها في منامها وتلهج به بعد كبرها، كما ذكر أن امرأة أهترت على عهد عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه فجعلت تقول: زوجوني زوجوني، [١] قولوا لزوجـي فليـدخل، مهدوا الطريق لزوجي، فقال عمر رضي الله عنه: ما أهتر به النمر خير مما أهترت به هذه، وكان النمر بن تولب رضي الله عنه خرّف فجعل يقول: ضـيفكم لا يضـع، أكرمـوا الضيف أنزلوا الضيف، أغبقوا الضيف، وذلك لما كان يفعله في ماضي حياته. [٢]

وتكون العانس شاردة الذهن، فهي جالسة في المجلس ببدنها، وقلبـها وعقلـها خارجه، بل فكرها يطوف في أماكن متعددة هنا وهناك من العالم ويمكـن للإنسـان أن يلاحظ ذلك من قسمات وجهها واختلاجات نفسها وفلتات لسانها وذلك بالتفوه ببعض العبارات التي تكون لا علاقة لها بما يدور داخل المجلس، ويمكنه التأكد من ذلك بسـؤالها سؤالا مباغتا فيجدها غير متواجدة في المجلس لا علم لها بما يدور. أما ليل العـانس فليـل طويل جدا والذي يراها صباحا يعلم مقدار ما عانته من البرح والشدة والعنت والسـهر فعيونها محمرة وذلك من جراء تفكيرها فيما حل بها من المصائب وما نزل بساحتها مـن

---

[١] وقد يكون لهج هذه المرأة بالزواج هو حرارة سوقها في شبابها وتهافت الخطّاب عليها وتعدد مرات زواجها.

[٢] انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع دار الثقافة بيروت) ص ٢٢٧

المدلهمات وأنها ترى نفسها أنها دخلت في سن اليأس وتحدث نفسها وتسائلها: هل ستظفر بزوج بعد هذا العمر الطويل؟ ولو ظفرت به هل ستشعر معه بسعادة كانت تمني بها نفسها وتعوضها ما مضى من عمرها؟ وهل ستنجب أم أنها قد بلغت سن اليأس وصارت من القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فلا بأس عليها أن تتخفف من حجابها غير متبرجة بزينة والعفاف خير لها. قال الله تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

وهذه العانس في هذه الأفكار السوداء وأمثالها لا تتذكر نعم الله عليها التي لا تحصى ولا تعد، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) وهذه النعم تبدأ بالإسلام الذي هدانا الله له، فالإسلام نعمة يجب الشكر عليها قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤)

---

(١) سورة النور آية ٦٠

(٢) سورة النحل آية ١٨

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٤

(٤) سورة المائدة آية ٣

والعافية التي أولاها الله لها نعمة عظيمة من نعم الله علينا فلتتذكرها العانس ولتعلم أن الله سبحانه وتعالى قد عافاها في بدنها وفي سمعها وفي بصرها وأن هناك عوانس عدة غيرها جمعن بين العنوسة والإعاقة وأن هناك نساء متزوجات خير منهن الخليات من الأزواج كالعوانس ونحوهن من النساء وذلك لما يعايشنه مع أزواجهن من عنت وشدة وبرح فهن مسبوبات مشتومات مضروبات وأن هناك نساء معلقات وأخر مطلقات وغيرهن من أرامل النساء ومغيباتهن[1] اللاتي غاب عنهن أزواجهن في سفر طويل ولا أمل لهن في رجوعهم كما أن هناك من النساء من ينعمن مع أزواجهن فهذه قسمة ربنا عز وجل وهو على ما يشاء قدير وهو يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ومن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

فيا أيتها العانس اتقي الله عز وجل واعلمي أن إدمانك الفكر في هذه الأمور وسهرك الدائم من أجلها لن يغير من واقعك شيئا فعليك بالجؤار إلى الله بالدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل وتوجيه هذا السهر في تلاوة القرآن الكريم والتهجد فستظهر آثار ذلك عليك: حيوية في جسمك ونضارة في وجهك ونشاطا في نفسك، فعليك بالعبادات والإكثار من الطاعات، فقيام الليل مثلا يضفي على الوجه جمالا ونضارة وحيوية، قال أحمد بن عبد القادر الحفظي في منظومة قيام الليل:

---

[1] يقال امرأةٌ مُشْهِدٌ إذا كان زَوجُها حاضراً عندها، وامرأةٌ مُغيب إذا كان زوجُها غائبا عَنْها. ويقال فيه مُغِيبة، ولا يقال مُشهدَة. أرادَت أن زوجَها حاضرٌ لكنَّه لا يَقْرُبُها فهو كالغائب عنها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:{شهد}]

يا مدثر قم فأنذر ثم طهر كل شملة ثم صلي تصل معالي قاب قوسين يقينا
فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

ثم ناداه جهارا لا تزمل بالبجاد وقم الليل اصطبارا وتزود للمعاد
واقترب واسجد مرارا واجتنب طول الرقاد فظلام الليل جال لوجه القائمينا
فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

١٢ـ اليأس[1] والإحباط:

بعض الناس إن أصابه سوء يرى كأن الدنيا قد اسودت أمام ناظريه وأن الأبواب قد أوصدت أمامه وأن السبل قد سدت مسالكها بين يديه ولم يبق لحياته معنى وأنه الأليق والأجدر والأحرى به انتظار الموت فلا سبيل أمامه إلا ذلك وهو راحة له من خضم هذه المشاكل التي حنت رقبته وقصمت ظهره فتراه حائر الفكر خائر القوى لا يهمه أن يقوم بشيء من الأعمال فيعطل طاقاته الكامنة ويستولي عليه الذهول والخمول ويصير كالمجنون ومن هذا الصنف بعض العوانس فترى أنها بعدم زواجها كأن الدنيا قد انقلبت رأسا على عقب، ولذا فهي تكون محبطة في حاضرها الذي يتقلب ليله ونهاره ويعملان فيها، كما أنها تكون حزينة على ما مضى من عمرها وارجحن من شبابها وتغضن من وجهها وتحدد من جسمها، وتكون يائسة من مستقبلها متشائمة لمرحلة ما بعد زواجها هذا إن ظفرت بزوج وتتساءل: هل ستسعد مع هذا الزوج الذي جاء بعد طول انتظار أم أنها ستشقى معه شقاء يفوق شقاءها وهي عانس.وهي في الغالب تكون يائسة من الظفر بزوج، ويقفز إلى ذهنها فلانة التي كانت أجمل منها وأكثر غنى وتعليما ومكانة اجتماعية ولم تظفر بزوج

---

[1] اليأس: قطع الرجاء

حتى صارت من القواعد من النساء التي لا يرجون نكاحا[١] وبلغت سن اليأس وصارت من ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ [٢] فكيف تظفر هي بزوج مع قبحها ودمامتها وضعة مكانة والديها وفقرهما وقلة تعليمها؟ وتنسى هذه العانس أو تتناسى ما كانت تصرح به في مقتبل شبابها من أن فلانة تزوجت مع قبحها ودمامتها وشؤمها مما ذكرناه مستوفى في المقدمة مما يجيش بصدور العوانس وتسقطه فلتات ألسنتهن مما تحويه مكنونات صدورهن.، وتطفح به قلوبهن مما لا نريد أن نجتره مرة أخرى. واليأس والقنوط من رحمة الله صفة من صفات الكفرة قال الله تعالى ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٣] قَالَ أبو عَبْد اللَّه البخاري : ﴿لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ

---

[١] قال الزجاج: هن اللواتي قعدن عن الأزواج. ابن السكيت: امرأة قاعدٌ إذا قعدت عن المحيض، فإذا أردت القُعود قلت: قاعدة. قال: ويقولون امرأة واضعٌ إذا لم يكن عليها خمار، وأتانٌ جامعٌ إذا حملت. قال أبو الهيثم: القواعد من صفات الإناث لا يقال رجال قواعدُ، وفي حديث أسماءَ الأَشْهَلِيَّة: إنا مَعاشِرَ النساءِ محصوراتٌ مقصوراتٌ قواعدُ بيوتكم وحواملُ أولادكم؛ القواعد: جمع قاعد وهي المرأة الكبيرة المسنة، هكذا يقال بغير هاء أي أنها ذات قعود، فأما قاعدة فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً، ويجمع على قواعد فهي فاعلة من قَعَدَتْ قعوداً، ويجمع على قواعد أيضاً. [لسان العرب، مادة: قعد]

[٢] سورة الطلاق آية ٤

[٣] سورة يوسف آية : ٨٧

الرَّجَاءُ.[١] فعلى المسلم أن ينتظر رحمة الله عز وجل وفرجه وانتظار الفرج من أعظم العبادات وأفضلها لما جاء: عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ.[٢]

قال المباركفوري: قوله: " سلوا الله من فضله " أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع " فإن الله يحب أن يسأل " أي من فضله لأن يده تعالى ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار " وأفضل العبادة انتظار الفرج " أي ارتقاب ذهاب البلاء والحزن بترك الشكاية إلى غيره تعالى وكونه أفضل العبادة لأن الصبر في البلاء انقياد للقضاء . والفرج بفتحتين يقال فرج الله الغم عنه أي كشفه وأذهبه.[٣]

وليعلم المسلم أن كل أمره خير وأن ما أصابه كله بقدر الله عز وجل وأن الصبر سيعقبه فرج قال تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٤] وقال الله تعالى﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[٥] وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه، قال بلغ: عمر أن أبا

---

[١] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ حديث رقم: ٣١٣٧

[٢] سنن الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله، بَاب: فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٣٤٩٤

[٣] تحفة الأحوذي ج ١٠ ص ١٧

[٤] سورة الطلاق آية ٧

[٥] سورة الشرح آية ٥ ــ ٦

عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجا، وإنه لا يغلب عسر يسرين.[١]

قال ابن الأثير: لنْ يَغْلب عُسْرٌ يُسْرَين. قال الخطَّابي: قيل: معناه أن العُسْر بين يُسْرين إما فرَجٌ عاجلٌ في الدُّنيا، وإمَّا ثوابٌ آجِلٌ في الآخرة. وقيل: أراد أن العُسْر الثاني هو الأوّل لأنه ذكَره مُعَرَّفا باللام، وذكَر اليُسْرين نَكِرَتين، فكانا اثْنَين، تقولُ: كسَبْتُ درْهما ثم أنْفَقت الدِّرهم، فالثاني هو الأوَّلُ المُكْتَسَب.[٢] وقال هدبة بن خشرم:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب[٣]

---

[١] سير أعلام النبلاء ج١ ص ١٥

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عسر}

[٣] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣/ شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٧ ــ ٣٢٨

المبحث الثالث

الآثار الاقتصادية للعنوسة

١ـ التأنق في الملبس

٢ـ الإكثار من استعمال الكريمات والأصباغ والعطور

٣ـ إرهاق الوالدين بكثرة المطالب

٤ـ الاستغلال

المبحث الثالث

الآثار الاقتصادية للعنوسة

١ـ التأنق في الملبس :

الاهتمام بالثياب شيء ضروري لأن الملابس تعطي الإنسان تقييما خاصا، فالناظر لإنسان يلفته أول شيء مظهره ، فإن كان حسن الهندام جيد المظهر فإنه يروعه شكله ويروقه منظره وإن كان غير مهتم بثيابه ولا ملبسه من نظافة وتناسق ألوان فإنه يزهد فيه، قال الشاعر :

تجمل بالثياب تعش حميدا ... فإن العين قبل الاختبار

فلو لبس الحمار ثياب خز ... لقال الناس يالك من حمار[١]

ولكن الغريب اللافت للنظر أن يكون الإنسان مهتما بهندامه متأنقا في زيه تأنقا يفوق الأمر العادي ويتجاوز الشيء المعتاد ، فتراه يجلس الساعات الطوال أمام المرآة ينظر لنفسه ويحضر أنواع الكريمات والمرطّبات للجسم وأنواع العطور والروائح فيصاب بنوع من النرجسية[٢] فالناس وإن كانوا يعجبهم صاحب الملابس الجميلة لكنهم لا يعتبروها كل شيء فلابد من معرفة حقيقته ليتسنى إعطاؤه تقييما في خلقه وعلمه وفضله ثم يضاف إليه بعد ذلك ملابسه، أنشد ابن دريد لبعض الأعراب :

يغايظوننا بقمصان لهم جدد ... كأننا لا نرى في السوق قمصانا

ليس القميص إن جددت رقعته ... بجاعل رجلا إلا كما كانا[٣]

---

(١) انظر: موارد الظمآن لدروس الزمان ، لعبد العزيز السلمان ، ج ٢ ص ٥٧٨

(٢) النرجسية أو عشق الذات: يقصد بها عشق الذات، أو غرام الفرد بذاته، وإعجابه بنفسه وشكله وجسمه.

(٣) تاريخ دمشق، ج٧، ص ١٦

ونجد بعض العوانس تهتم بهندامها اهتماما كبيرا ، وتتأنق في ملبسها تأنقا ملفتا للنظر، وتتعرض للرجال، بغية أن تظفر بواحد منهم، وهي تتابع الموديلات الجديدة من الموضى، وتشتري المجلات التي تعكس إنتاج بيوت الأزياء والجمال في الشرق والغرب، وما ابتدعته عواصم الجمال في لندن وباريس ونيويورك ــ زعموا ــ كما أنها لا تنسى أن تشتري ملابس للصيف وأخرى للشتاء، وتعدد من ألوان ومقاسات ما تشتري وتتفنن في انتقاء ما تقتني فمن ملابس طويلة الأكمام إلى أخرى قصيرها كما تتفنن في التنويع في أطوالها وأحجامها، لأنها تعلم أن الثياب زينة وأنها تضفي على القبح جمالا وعلى الدمامة صباحة.وقد تلجأ العانس إلى الملابس الضيقة والقصيرة لعرض مفاتنها ولإغراء الحاضرين ولاصطياد الناظرين حتى تظفر بمعجب.

والذي يريد أن يتزوج يروقه في الفتاة هندامها وزيها ولكنه لا يكتفي به فقط فسيسأل عنها وعن أسرها وعن أخلاقها وعن تدينها ويجعل هذه الأمور هي الأساس ثم يضيف إليها الهندام وغيره من المظاهر بعد ذلك.وليس المراد أن تخرج الفتاة متبذلة الثياب ظاهرة البذاذة منتنة الرائحة ولكن لا تبالغ في التأنق مبالغة ملفتة للأنظار ومكلفة اقتصاديا مع الحذر من استعمال العطور عند الخروج لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: فعَنْ غُنَيْمِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ. [1]

---

[1] سنن النسائي: كتاب الزينة، باب: ما يكره للنساء من الطيب، حديث رقم: ٥٠٣٦/مسند الإمام أحمد: حديث رقم: ١٨٨٧٩

٢ـ الإكثار من استعمال الكريمات والأصباغ والعطور :

كل الفتيات يسعين بل كل النساء تسعى لتحسين خلقهن مع غفلة أكثرهن وإغفال بعضهن عن تحسين الخلق ومن ثم فهي تهتم بمظهرها وجمالها ورشاقتها وتحاول زيادتها بكل السبل المتاحة دون التوقف عند مشروعيتها عند بعضهن مع أن كثيرا من الناس يرون أن الجمال الطبيعي يفوق الجمال المستعار والمستحدث بمراحل عدة وبينهما فرق واسع وبون شاسع ، فالجمال المجلوب في نظر كثير من الناس سراب بقيعة وبرق خلب وجعجعة لا طحن فيها وقد عكس ذلك المتنبي وكان يرى أن الجمال في البادية وأن نساء الحضر جمالهن مزور مصنوع مستحدث ومجلوب بالكريمات ومستحضرات التجميل وغيرها وليس أصليا فقال :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب[1]

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب[2]

وكثير من الناس يرون أن غانية النساء من استغنت بجمالها [3] عن التجمل وبحسنها عن التحسن وأن أطيبهن من كان طيبها منبعثا منها، وأن حسناوات النساء من

---

(١) جارية رعبوبة: شابة شطبة تارة (الشطبة: الحسنة، والتارة: الممتلئة الجسم)، والجمع الرعابيب. [المفردات للراغب، مادة: رعب]

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري ، ج ١ص ٤٥٧

(٣) قال الثعالبي عن مراتب الجمال عند المرأة عَنِ الإِئمَة: إذا كانَتْ بِهَا مَسْحَة من جَمَال فَهِيَ وَضِيئَة وجَميلَةٌ، فإذا أشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضاً في الحُسْنِ فهِي حُسَّانَة، فإذا استَغْنت بجَمَالِهَا عَنِ الزِّينة فَهِيَ غَانِيَة، فإذا كَانَتْ لا تُبالِي أنْ لا تَلْبَسَ ثَوْباً حَسَناً ولا تَتَقَلَّدَ قِلاَدَةً فَاخِرَةً فَهِيَ مِعْطَال، فإذا كانَ حُسْنُهَا ثَابِتاً

تغيظ الحلي وتفوقه ومن تزيد الجمال جمالا وقد صور ذلك مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في زوجته التي كان يرى أن جمالها يفوق الجمال كله وأن طيبها يزيد الطيب عبقا وفواحا وأن حسنها يحسن به الحلي فقال :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا[1]

ومع حرص المرأة بصفة عامة على التجمل والتحسن واستعمال الكريمات والأصباغ ومستلزمات التجميل ولكن يتفاوت اهتمام النساء تفاوتا ملحوظا بينهن فالنساء الحديثات الزواج أكثر اهتماما بهذا الأمر من النساء قديمات الزواج مع إهمال القواعد واليائسات لذلك مع حرصهن على خضاب الرأس وقد أحسن من قال واصفا حال النساء العجائز اللاتي يتشبن:

عجائز يطلبن شيئا ذاهبا يخضبن بالحناء شيبا شائبا

يفلن كنا مرة شبائبا[2]

والعجوز تعلم تمام العلم أن الشباب لا يأتي به الخضاب والحناء قالت إحدى العجائز تصف عدم غناء صبغها وحنائها عن الحقيقة شيئا:

وخضبتُ ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيام[3]

كأَنَهُ قَدْ وُسِمَ فَهِيَ وَسِيمَةٌ، فإذا قُسِمَ لَهَا حَظ وَافِر مِنَ الحُسْنِ فَهِيَ قَسِيمَة، فإذا كانَ النَّظَرُ إِلَيْهَا يَسُرُّ الرُّوعَ فَهِي رَائِعَةٌ، فإذا غَلَبَتِ النِّسَاءَ بِحُسْنِها فَهِيَ بَاهِرَةٌ.

[1] الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٨٢ /لسان العرب ج ٥ ص ٤٠١٣

[2] قَصَرَ شائبَةَ فجعلها شَبَّةً ثم جمعها على الشَّبائب. (انظر: لسان العرب ج ٧ ص ١٢)

[3] رسائل الجاحظ ج٢ص١٣٥ ، دار الجيل بيروت تحقيق عبد السلام محمد هرون ، رسالة مفاخرة الغلمان والجواري

وقال محمد بن علي: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بالمنى، ولا العلم بالإدعاء.[١]

والفتيات اللاتي في مقتبل العمر يستعملن أنواعا من الكريمات بعضها خاص لإزالة النمش والكلف عن الوجه وبعضها لإزالة البثور والدهون ولإخفاء حب الشباب وأخرى مختصة بفتح لون الوجه وإشابه [٢] وإضفاء نضرة وشباب عليه، وتفرط بعض الفتيات إفراطا شديدا في استعمال الكريمات والمساحيق حتى يصير لون وجهها مغايرا للون جسمها فيكون الوجه أبيض شديد البياض ويكون باقي الجسم مخالفا مما اضطر بعض الفتيات إلى لبس القفازات لإخفاء لون الأيدي وباقي الجسم فالملابس كفيلة بإخفائه، ومن الطريف المحزن ما ذكر أن رجلا كان يركب مركبة عامة فرأى يدا سوداء على خد أبيض فاحتملته الحمية وغضب غضبة مضرية وقال : يا فتى ألا تستحي لماذا تضع يدك على وجه هذه الفتاة في هذه المركبة العامة ولا تحترم مشاعر الناس، ولكن الفتاة أجابته قائلة: هذه يدي يا عمي.

---

[١] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١١١

[٢] قال ابن منظور : شَبَّ لَوْنَ المرأَة خِمارٌ أَسْوَدُ لَبِسَتْهُ أَي زاد في بياضها ولونها، فحَسَّنَها، لأَنَّ الضدّ يزيد في ضدّه، ويُبْدي ما خَفِيَ منه، ولذلك قالوا: وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشْياءُ ، ورجل مَشْبُوبٌ إِذا كان أَبْيضَ الوَجْهِ أَسْوَدَ الشَّعَرِ، وأَصْلُه من شَبَّ النارَ إِذا أَوْقَدَها، فتَلأْلأَتْ ضِياءً ونُوراً. وفي حديث أُمِّ سلمة، رضي اللّه عنها، حين تُوفِّيَ أَبو سلمة، قالت: جعَلْتُ على وجهي صَبِراً، فقال النبي، صلى اللّه عليه وسلم: إِنه يَشُبُّ الوجهَ، فلا تَفْعَلِيه؛ أَي يُلَوِّنه ويُحَسِّنُه. [لسان العرب مادة : شبب]

وعند الهاجرة واشتداد الحر ينتقع لون الفتاة ويمتلئ وجهها ماء وجسمها غبارا.وقد ذكر صاحب رسالة الجواري عن أحد النخاسين أنه قال: ربع درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة.[١]

وهذه الكريمات التي توضع على الوجه وتذهب لونه مع كلفتها الاقتصادية لغلاء أثمانها، فيها نوع من التغرير بالناظر إلى وجه المرأة لأنه ليس لون وجهها الطبيعي، بل هي منهي عنها، فعن آمِنَةَ بِنْت عَبْد اللَّه أَنَّهَا شَهِدَتْ عَائِشَةَ فَقَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَنُ الْقَاشِرَةَ وَالْمَقْشُورَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُوتَشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُتَّصِلَةَ.[٢]

قال المناوي: (لعن اللّه القاشرة) بقاف وشين معجمة تعالج وجهها أو وجه غيرها بالحمرة ليصفو لونها (والمقشورة) التي يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد قال الزمخشري القشر أن يعالج وجهها بالحمرة حتى ينسحق أعلى الجلد ويصفو اللون وفيه أن

---

[١] انظر: شراء الرقيق وتقليب العبيد لأبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب ج ١ ص ٣٨٧، عن ضمن مجموعة نوادر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

[٢] مسند الإمام أحمد، باب: باقي مسند الأنصار، باقي المسند السابق، حديث رقم: ٢٤٩٣٣ / كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٠١٩ / الجامع الصغير. للسيوطي، حديث رقم: ٧٢٦٣ ، وضعفه

ذلك حرام لأنه تغيير لخلق الله. (عن عائشة) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه[١] من النساء.[٢]

قال أبو عبيد : نراه أراد هذه الغُمرة التي تعالج بها النساء وجوههن حتى ينسحق أعلى الجلد و يبدو ما تحته من البشرة. [٣] لأن القَشْر : أن تعالج المرأة وجهها بالغُمُرَة[٤] حتى يَنْسَحِقَ أَعْلَى الجِلْد ، ويصفو اللون. [٥] والقاشرة: التي تُعالج وَجْهَها أو وَجْهَ غيرها بالغَمْرة ليَصْفُوَ لَوْنُها، والمَقشورة: التي يُفْعل بها ذلك، كأنها تَقْشِر أعْلَى الجلد. [٦] والقَشُورُ: دواء يُقْشَرُ به الوجه ليَصْفُوَ لونُه. والقاشرةُ؛ هي التي تَقْشِرُ بالدواء بشرة وجهها ليصفو لونه وتعالج وجهها أو وجه غيرها بالغُمْرة. والمَقْشُورة: التي يفعل بها ذلك كأنها تَقْشِرُ أعلى الجلد.[٧]

---

[١] عن أم نهار عن عمتها أمينة أنها لقيت عائشة رضي الله عنها فسألتها عن الحناء فقالت لا بأس به بقلة رطبة ولا تقربنه وانتن حيض وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواصلة والموصوله. هذا حديث غريب فرد والمقشورة التي تقشر وجهها بالغمرة [سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٥٦]

[٢] فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للمناوي، حديث رقم: ٧٢٦٣

[٣] الغريب لابن سلام ج ٣ ص ١٢٣ ، مادة: قشر

[٤] الغُمْرةُ بوزن الجمرة طلاء يُتخذ من الورس وقد غَمَّرَت المرأة وجهها تَغْمِيرا أي طلت وجهها ليصفو لونها و تَغَمَّرَت مثله.والوَرْس: شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرِّمْث بين آخر الصيف وأوّل الشتاء إذا أصاب الثوبَ لَوَّنَه. التهذيب: الوَرْس صِبْغ، والتَّوْرِيس مثله. [مختار الصحاح، مادة: غمر/ لسان العرب، مادة: ورس، مادة: غمر]

[٥] الفائق للزمخشري ٣ ص١٩٦، القاف مع الشين

[٦] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {قشر}

[٧] لسان العرب، مادة: قشر

٣ـ إرهاق الوالدين بكثرة المطالب :

قد لا تشعر العانس أن تأنقها في ملبسها والإكثار من استعمال الكريمات المتعددة التي تكون لإزالة كلف الوجه والنمش والإكثار من تصفيف الشعر وتغيير الثياب وكثرة الدخول والخروج وإرهاق الوالد بكثرة الطلبات أن هذه الأمور تسبب للوالدين كلفة زائدة ، ومشقة مالية كبيرة.

والأب المسكين مع محدودية دخله يريد أن لا يحرج ابنته برد طلب من طلباتها يريدها أن لا تكون مكسورة الخاطر مهيضة الجناح منكسفة بين لداتها وأترابها اللاتي تزوجن ويراعي أن هذه البنت لم يكتب لها نصيب الزواج وبخاصة إذا تزوجت أخواتها اللاتي هن أصغر منها فيريد أن يعوضها بعض ما فقدت من عدم ظفرها بزوج تنعم معه ويكون عونا لها على تقلبات الزمان وصروفه ومعينا على دوائره.

وقد تكون طلبات البنت فوق مقدور الوالد واستطاعته فيضطر إلى إنفاق مدخراته التي ادخرها لغوائل الزمان أو الاقتراض والاستدانة أو بيع ممتلكاته كمنزل أو سيارة ونحوها.ومطالب العانس عدة فهي تتنوع بين ملبوس، واختيار آخر صيحاته وأحذية ، وحلي وقلائد على المخانق والصدور وأساور ورعاث [١] وقلب [٢] وأقراط وخلاخيل وشنف [٣]

---

[١] الرِّعاثُ: القرَطةُ، وهي من حُليِّ الأُذُن، واحدتُها: رَعْثة، ورَعَثة أيضاً، بالتحريك، وهو القُرْطُ، وجنْسُها: الرَّعْثُ والرَّعَثُ. ابن الأَعرابي: الرَّعْثة في أَسفل الأُذن، والشَّنْفُ في أَعْلى الأُذن، والرَّعْثة دُرَّة تُعَلَّقُ في القُرْط.[لسان العرب، مادة : رعث]

[٢] القلب: بضم القاف وسكون اللام آخرها موحدة هو السوار وقيل هو مخصوص بما كان من عظم.

[٣] الشَّنْفُ، وبالضم لَحْنٌ: القُرْطُ الأَعْلَى، أَو مِعْلاقٌ في قُوفِ الأُذُن، أو ما عُلِّقَ في أعْلاها، وأمَّا ما عُلِّقَ في أسْفَلِها فَقُرْطٌ، ج: شُنُوفٌ.[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الفاء. فَصْلُ الشِّيْن]

وخواتيم وفتخ [١] وخرص، [٢] والتي تكون من الذهب الأحمر الرنان أو الأحجار الكريمة، كما أنها تحتاج إلى مصروف في يدها تشتري به ما تريد من كتب ودفاتر وأقلام وجرائد ومجلات نسائية تتتبع فيها آخر صيحات الموضى وكريمات وأصباغ ومنكير ومزيلات له وتكلفة دخول وخروج ، كما أنها تريد أن تشتري حاسوبا وما يتبعه من أقراص صلبة ومرنة كما أنها تريد أن تشترك في الإنترنت كما أن لها مطلبا وقتيا تفرضه ظروفها فتطلب تلبية ما يطرأ في عقلها.وإن كان والد الفتاة العانس غالبا يبادر لشراء بعض الحاجيات لابنته من غير طلب للحاجيات منها ولا سؤال لها فيشتري لها بعض المصوغات والأسورة والملابس ويؤمن لها بيتا إن كان مستطيعا حتى يرغب الراغبون فيها من المتقدمين يفعل كل هذه الأشياء تطييبا لخاطرها وتحفيزا وإغراء للراغبين في الزواج عليهم أن يقترنوا بها وأن يطمعوا فيها.وهي قد لا تشعر أن هذه الأشياء لها ثمنها وأن الدخول والخروج وما يتبعه من ذهاب إلى الأسواق له ثمنه وقد يعجز الوالد عن ذلك وقد لا يصرح لها بعجزه حياء منها ومراعاة لخاطرها وحفظا لقلبها. والوالد يكثر من دعاء ربه عز وجل أن يكثر نقوده التي يستطيع أن يوفر بها الأصباغ والكريمات وسائر المستلزمات.

---

[١] بفتحتين، جمع فَتَخَة، وهي خَواتِيم كِبارٌ تُلْبس في الأيْدي، ورُبما وُضِعَت في أصابع الأرْجُل. وقيل: هي خَواتيمُ لا فُصُوص لها، وتُجْمع أيضا على: فَتَخات وفِتَاخ.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {فتخ}]

[٢] الخُرْصُ – بالضم والكسر – الحلْقة الصغيرة من الحَلْي، وهو من حَلْى الأذُن.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {خرص}]

٤ـ الاستغلال :

قد يكون من نتيجة عنوسة الفتيات الاستغلال فعندما يرى أحد الرجال أو بالمعنى الأدق أحد الذئاب عديمي الرحمة فتاة عانسا أثرت فيها عنوستها وأهمتها أيموتها فظهرت آثارها على صفحات وجهها من هم وحزن واكتئاب وشحوب لون وعلى فلتات لسانها فصارت تبدر منها عبارات توحي بعدم الثقة في النفس وباليأس من هذه الحياة والإحباط منها فبدلا من أن يرحم ضعفها ويبذل جهده في جبر كسرها ويسعى جاهدا في حل مشكلتها بأن يتقدم لخطبتها شخصيا أو يبحث لها عن زوج متقدم تكتنف بكنفه وتحتمي به ، أو أن يواسيها مواساة تذهب ببعض معاناتها ويذكّرها بأن هناك أمثلة لفتيات كثيرات غيرها لم يوفقن للزواج وأنها ليست هي العانس الوحيد فالعنوسة داء مستشر أو على الأقل يكف عنها ويتركها وشأنها، فإنه يستغلها استغلالا يزيد من معاناتها والاستغلال الذي تواجه الفتاة العانس أنواع منه:

أـ الاستغلال المالي :

وهو أن يطمع رجل في مال امرأة عانس فيغريها بالزواج منها ويطمعها فيه ويعدها به ويمنيها وما يعدها إلا غرورا ، ولكنه يعتذر عن الإقدام على الزواج منها بالعوز وقلة ذات اليد وأنها لو أعانته بشيء من مالها ليتجمل به أمام الناس وليكف به ألسنتهم عن تناوله وعن الكلام عنه وحتى لا يقول قائل منهم ويتخرص متخرص منهم وما أكثرهم بأنها : قد تزوجته ، وهذا ليس كريما في حقه ولا حقها ، فلو أعطته قليلا من المال فسيقدم على هذا الأمر بلا أدنى تردد ودون أقل توقف.مع أنه عند قبوله لهذا الأمر يود أن لا يطلع عليه زيد ولا عمرو لأن هذا الأمر عظيم وقعه على نفسه وإنما فعله تقديرا لها وإيثارا لمكانتها عنده ولنيل رضاها ومحبتها التي تمكنت منه وخالطت شغاف قلبه وعصبه ومخه.

ولو تعقلت هذه المسكينة لعلمت أن هذا الذئب يكذب عليها: كما يتضح لنا في هذه القصة وأمثالها من القصص التي يتداولها أفراد المجتمع، فقد ذكرت إحدى الصحف قصة بعنوان:

ثرية وعانس تشكو ظلما

كنت المفتاح الضائع وسر اللغز إلى الثروة

سرقني واكتفى بالفتات ... وجعلني أذرف دمعا

قالت إحدى العوانس : الأخ محرر هذه الصفحة[1] أنا صاحبة مشكلة، ولكن لن أقول لك إلا الأحداث وسأبقي الأسماء والأماكن بحوزتي وعندي رقم الهاتف والفاكس الخاص بصحيفتكم قد لا تصدق إذا قلت لك إنني الآن في الثامنة والثلاثين من عمري (٣٨) عاما وما زلت عانسة[2] رغم أنني ثرية بنت أثرياء ولي حظ لا بأس به من الجمال، وكنت مخطوبة لأحد أقاربي وكان من الفرع الفقير في الأسرة، كان يريد أن يصل إلى خزانة أبي وكنت في نظره المفتاح الضائع، وسر اللغز وكان يطيعني بصورة مخجلة تجعلني أراه أقل قامة مني، نعم كان يتقزم أمامي معتقدا أن ذلك سيكسبه رضائي ولكن لم يكن يعرف أنني لا أحب الرجل الخنوع، أريد رجلا ألوذ به، يكون لي سندا وحماية،

---

[1] صفحة هموم الشباب بجريدة الوطن السودانية

[2] الأفصح أن يقال امرأة عانس ولكن قد وردت كلمة عانسة في الشعر، قال الشاعر [معجم البلدان ج ٣ ص ج ٣ ص ٢٤٠]:

وهل تعودن ليلاتي بذي سلم كما عهدت وأيامي بها الأول

أيام ليلى عانسة وأنت أمرد معروفا لك الغزل و ذو سلم

(درقة[1] وسيفا) أنا لا أريد رجلا يتحول خاتما في إصبعي، لا أريد عبدا مطيعا ـــ إن كان هناك عبودية تذكر ـــ وعندما واجهته بما أريد قال لي بجراءة يحسد عليها ، أنا لم أخطبك لأنك حسناء أو لأنك ذات قوام، أنا رأيتك محفظة مكدسة ومفتاحا لخزانة لا تنضب وأن الطريق إلى المال يكون عبرك، لقد عشت فقيرا ومحروما جربت أن ألوك الصبر وأن أبيت ليالي عديدة في عز الشتاء جائعا، لم أملك في حياتي ملابس لائقة، رغم أنني جامعي أعمل مدرسا ، إنني أساعد والدي الذي ينوء بحمل كوم لحم هم إخوتي أنا لا أعرف كلمات الغزل ولا الحب، ولا أريد أن أكون كاذبا أمامك ،[2] وأنا لا أتقزم أمامك أنا تربيت على أن أقول : نعم وحاضر، وأن أكون منفذا لأوامر من يملكون، وواصل قائلا: عاملتك برقة، وطاعة لأنك الحلم الذي أبحث عنه، حلم أن أكون ثريا، وأن يكون لي أبناء لا يعرفون طعم الجوع، وأن .....وانهمرت دموعه.

وقلت لنفسي: ماذا يضيرني أن أعطيه فرصة أخرى وقد كان، وخلال تلك الفترة اشتريت له وعلى شكل هدايا كل الملابس والبدل الفاخرة التي تمناها وحلم بها، بل دفعت له ثمن عربة نصف مستعملة، وحتى لا أحرجه فقد أعطيته حق الإمضاء معي،

---

[1] الدرقة: الترس من الحديد في العامية السودانية، وفي الفصحى، الدَّرَقُ: ضرب من التَّرَسة، الواحدة دَرَقة تتخذ من الجلود. والجمع دَرَقٌ وأَدراق ودِراقٌ. [لسان العرب: مادة درق]

[2] لقد صدقك هذا الرجل وأفصح لك عن خزائن نفسه مكنونات صدره ولكنه لعل الخوف من جانبك أن تجدي عازبا غيره مع تقدم السن وتمني النفس بأن تجعليه يغير رأيه هو الذي دفعك إلى التمسك به.

عليك رتق الأمر واستدراك الحال بالموافقة بزوج يكون دون تطلعاتك كأن يكون متزوجا أو أرملا أو متقدما في السن. والله يعينك ويأخذ بيديك وسائر عوانس المسلمين.

في حسابي الذي كان وضعه والدي باسمي، كان به مبلغ يقارب الـ (٣) ملايين جنيه، ولم أكن أصرف منها.

وحصل خطيبي على إعارة في بلد عربي وسعدت كثيرا بذلك، وودعني على أن يعود ليعقد قرانه عليّ ويصحبني معه حزنت لفراقه واكتشفت أنني كنت أحبه، وكنت أحاول أن أخفي ذلك وبعد أسبوع من سفره ، كانت المفاجأة أعطيت شيكا بمبلغ ربع مليون جنيه لصديقة مسافرة لتجلب لي ما أحتاج من الدولة التي هي ذاهبة إليها ، وعادت إلي في اليوم التالي لأن الشيك ارتد لعدم وجود رصيد، وكادت المفاجأة تشلني، وذهبت إلى البنك وهناك رأيت أن خطيبي وفي شهر واحد قبل سفره، قد سحب المبلغ على دفعات بالتوقيع الذي سمحت به له أن يتصرف في رصيدي لقد سرقني الرجل الذي كنت أدخره للمستقبل.

وكان بإمكاني أن أقاضيه ولكن أعلنت فسخ الخطوبة من جانبي وأخبرت والدي، وشعرت بحسرة وطالعتني الشماتة في عيون أسرتي ووصفوني بالمغفلة وقالوا: إنني مغفلة، ولم أكن كذلك، كنت إنسانة [1] طيبة، رأت خطيبا في مأزق، فمددت يدا للمساعدة، ولكنه داس على اليد الممدودة، واكتفى بعظمة من مأدبة حافلة بالثراء.

إنني أسألك سؤالا واحدا : هل كنت ساذجة أم أن النية الطيبة خذلتني؟

مخذولة

من المحرر :

---

[1] قال ابن منظور: يقال للمرأة أيضاً إنسانٌ ولا يقال إنسانة، والعامة تقوله.[لسان العرب، مادة: أنس]

إنك لست ساذجة ولا غبية فقط أعطيتي ثقة غالية لرجل رخيص لا يعرف قدر نفسه، ولا مقدار الثقة. أركليه بعيدا واحتسبي ما ضاع عند المولى وثقي في نفسك أنه درس، والدروس ليست مجانية ما أخذه ذاك النكرة كان ثمنا لدرس بليغ، وإن كان مؤلما.[1]

ب ـ الاستغلال البطني :

من أنواع الاستغلال التي كانت معروفة عند العرب سابقا أن يذهب رجل إلى أناس زاعما منه أنه يريد خطبة ابنتهم ونيل ودهم والقرب منهم وربط أسبابه بأسبابهم فيكرمونه فيذبحون ويقدمون له ما يستطيعون من أنواع المأكول والمشروب ويكون هدفه نيل هذا الأكل والشرب وملء بطنه والاكتفاء بهذا ثم الذهاب إلى آخرين لتكرار نفس الفعلة ، قال ابن منظور يصف هذا النوع من الخطّاب الذين لا تجاوز خطبتهم بطونهم، وأن واحدا منهم ذهب إلى مجموعة من أناس لهم بنات في سن الزواج وكان أمامهم لبن في قربة كبيرة فنظر إلى القربة وقال جئتكم خاطبا، وعلموا هدفه الحقيقي من الخطبة بنظراته نحو وطب اللبن وهو أن يشرب هذا اللبن، بعضه أو كله فقال: ورجل خطّاب كثير التصرف في الخطبة قال :

بَرَّحَ، بالعَيْنَين، خَطَّابُ الكُثُبْ يقولُ: إني خاطِبٌ، وقد كذَبْ

وإنما يخْطُبُ عُسًّا من حَلَبْ[2]

ج ـ الاستغلال الاستمتاعي:

الاستغلال الاستمتاعي أنواع منه :

---

[1] جريد الوطن السودانية عد ٢٦٢ / الاثنين ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ـ الموافق ٦ / ٨ / ٢٠٠١م

[2] لسان العرب ج ٤ ص ١٣٥

أ ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بإدامة النظر إلى من خدعها بخطبته لها والحديث معها والمفاكهة والمضاحكة والمغازلة وإمضاء الساعات الطوال في الجلوس سويا موهما لها أنه يريد الزواج منها والتعرف عليها تمهيدا لخطبتها. ولكنه يكون في حقيقة الأمر يريد إنفاق الأوقات معها وتزجيتها والتخلي عنها بعد ذلك.

ب ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بالدخول والخروج معها والتدرج إلى مراحل أعلى من ذلك من اللمس والتجميش [1] والتقبيل.

ج ـــ يريد الخاطب إمتاع نفسه بالاستغلال الجنسي فيوهمها هذا الذئب بأنهما سيتزوجان وأنها ستكون له ويكون لها فينال من عرضها ثم يذهب تاركها تجتر الحسرات وتأكل الندم وتعض الأنامل من الغيظ على تفريطها في نفسها وركونها إلى خداعه ذاهبا ليغرر بعانس أخرى فما أكثرهن وما أسهل خداعهن. مع عدم نسيان الحديث عنها وفضيحتها وإشانة سمعتها وأنه تركها لأنها أخبرته بأنها ليست بكرا وأنه كان يريد سترها وراقبها فوجدها مع فلان وفلان.

د ـ استغلال مكانة وجاه العانس ومكانة أهلها وجاههم:

قد تكون بعض العوانس من أسر مرموقة لها مكانة اجتماعية كبيرة وسط المجتمع، أو تكون العانس نفسها لها وظيفة كبيرة في ديوان من دواوين الدولة، ويكون هذا الخاطب رويبضة من رويبضات المجتمع ونكرة من نكراته فيأتي إليها مطمعا لها في الارتباط بها والزواج منها فتصدق المسكينة ويكون هدفه الحقيقي استغلال مكانتها الاجتماعية المرموقة ومكانة أهلها في تحقيق مكاسب خاصة به من نيل وظيفة أو دفع شر محدق به، أو

---

[1] الجَمْش: ضربٌ من المُغازَلة بقَرْص ولعِب، وقد جَمَّشَه وهو يُجَمِّشها أي يُقَرِّصُها ويُلاعِبُها. [لسان العرب: مادة جمش]

إخراج حقوق له مهضومة. أو نحو ذلك من الأغراض والمطامع وتركها ولفظها بعد نيل مراده منها وقضاء مآربه وتحقيق مطامعه.

هـ ـ استغلال إيذاء الشعور :

قد يريد أحدهم إمتاع نفسه بالدنو من العانس ومحادثتها وإيهامها أنه يريد حل مشكلتها ويكون في الحقيقة يريد أن يقضي وقتا وأن يري غيره من الناس أنه يهتم بمشاكل الآخرين وقضاياهم ، أو يقول ضاحكا بملء فيه لأحد أصدقائه أو الماكرين مثله : ما رأيك في الزواج من هذه المرأة ولست مطالبا بشيء سوى أن تكون رجلا أو بالمعنى الأدق أن تكون فحلا ، فلست مطالبا بمهر ولا بيت ولا نفقة فكل هذا متوفر لك وإنما الناقص هو الرجل فكن أنت ، فيجرح شعورها ولا يفيدها شيئا بل يتخذها أضحوكة وسخرية.

ـ وحتى بعض الباعة المتجولين لا تسلم من أذاهم العوانس، فمن القصص التي حدثت أن بائعا متجولا كان يعرض أنواعا من الأكواب تسمى [بايركس] [1] فيأتي ويصيح وسط الحارات والمنازل بأعلى صوته: خذوا البايركس ويكون في الحقيقة يقصد الفتيات البائرات.

فخرج إليه أحد الرجال الغيورين فقال له: والله لو سمعت منك هذه العبارة بعد هذا اليوم، فلن تنال خيرا ولن تسلم مني، فقل أي شيء تبيع به بضاعتك وتروجها، ويمكنك أن تقول: خذوا الأواني والصحون ونحوها من عبارات التسويق ولكن لن نسمح لك أن تؤذينا في بناتنا.

---

[1] أي الممتنعة عن الكسر